

إعداد

د. رجب محمود بخيت

مكتبة الإيمان - بالمنصورة

رقم الإيداع : ١١٥٤٢ / ٢٠٠٦
الترقيم الدولي : ٣ - ٣٤٢- ٢٩٠ - ٩٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

فلا بد من جماعة تدعو إلى الخير ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، لا بد من سلطة فى الأرض تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . والذى يقرر أنه لا بد من سلطة هو مدلول النص القرآنى ذاته . فهناك « دعوة » إلى الخير ولكن هناك أيضًا « أمر » بالمعروف . وهناك « نهى » عن المنكر ، وإذا أمكن أن يقوم بالدعوة غير ذى سلطان ، فإن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقوم بهما إلا ذو سلطان .

والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ من ثم ـ تكليف ليس بالهين اليسير ، إذا نظرنا إلى طبيعته ، وإلى اصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم ومصالح بعضهم ومنافعهم ، وغرور بعضهم وكبريائهم . وفيهم الجبار الغاشم . وفيهم الحاكم المتسلط . وفيهم الهابط الذى يكره الصعود . وفيهم المسترخى الذى يكره الاشتداد ، وفيهم المنحل الذى يكره الجد . وفيهم الظالم الذى يكره العدل . وفيهم المنحرف الذى يكره الاستقامة . . وفيهم وفيهم من ينكرون المعروف ، ويعرفون المنكر . ولا تفلح الأمة ، ولا تفلح البشرية ، إلا أن يسود الخير ، وإلا يكون المعروف معروفًا ، والمنكر منكرًا ، وهذا ما يقتضى سلطة للخير وللمعروف تأمر وتنهى وتطاع [(١)] .

« إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه وأهمل عمله ، لتعطلت

(١) سيد قطب : الظلال ، جـ ١ ، ص٤٤٤ .

النبوة واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق ، وخربت البلاد وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ، وقد كان الذى خِفْنا أن يكون فإنا لله وإنا إليه راجعون ؛ إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه ، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق ، واسترسل الناس فى اتباع الهوى والشهوات واسترسال الحيوانات ، وعزَّ على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فمن سعى فى تلافى هذه الفترة وسد هذه الثلمة ، إما متكفلاً بعملها أو متقلدًا لتنفيذها ، مجددًا لهذه السنة الداثرة ، ناهضًا بأعبائها ، ومتشمرًا فى إحيائها ، ومستبدًا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها (١) .

« **كنتم خير أمة أخرجت للناس** » :

يقول سيد قطب : « وهذا ما ينبغى أن تدركه الأمة المسلمة لتعرف حقيقتها وقيمتها وأنها أخرجت لتكون طليعة ولتكون لها القيادة ، بما أنها هى خير أمة ينبغى دائمًا أن تُعطى هذه الأمم مما لديها ، وأن يكون لديها دائمًا ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح والنظام الصحيح والخُلق الصحيح ، والمعرفة الصحيحة ، والعلم الصحيح . . . هذا واجبها الذى يحتمه عليها مكانُها ، وتحتمه عليها غاية وجودها . واجبها أن تكون فى الطليعة دائمًا وفى مركز القيادة دائمًا ولهذا المركز تبعاته .

وفى أول مقتضيات هذا المكان أن تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتحريض على الخير وصيانة المجتمع من عوامل الفساد ، بكل ما وراء هذه التكاليف من متاعب ومواجهة طواغيت الشر فى عنفوانهم وجبروتهم .

الدعاة إلى الخير الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر يواجهون الشر فى عنفوانه ، ويواجهون طاغوت الشهوة فى عرامتها وشدتها ويواجهون هبوط

(١) أبو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص٣٣٣ .

الأرواح ، وكَلَّ العزائم ، وثقلة المطامع ، وزادهم هو الإيمان بالله وسندهم هو الله ، وكل زاد سوى الإيمان ينفد ، وكل عدة سوى عدة الإيمان تغلُّ ، وكل سند غير سند الله ينهار .

إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عبودية ودينونة لله فى أبهى صورها .

إنه لا بد من عبودية ! فإن لا تكن لله وحده تكن لغير الله . . والعبودية لله وحده تطلق الناس أحرارًا كرامًا شرفاء أعلياء . . والعبودية لغير الله تأكل إنسانية الإنسان وكرامته وحريته وفضله .

إن الله سبحانه وصف الأمة المسلمة بأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر صفتها ، ليدل على أنها لا توجد وجودًا حقيقيًا إلا أن تتوافر فيها هذه السمة الأساسية التى تعرف بها فى المجتمع الإنسانى ، وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس .

« تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »

فهو النهوض بتكاليف الأمة الخيرة ، بكل ما وراء هذه التكاليف من متاعب وبكل ما فى طريقها من أشواك . . . إنه التعرض للشر والتحريض على الخير وصيانة المجتمع من عوامل الفساد . . . وكل هذا متعب شاق ولكنه كذلك ضرورى لإقامة المجتمع الصالح وصيانته ؛ ولتحقيق الصورة التى يحب الله أن تكون عليها الحياة .

ثم لا بد من الإيمان أيضًا ليملك الدعاة إلى الخير ـ الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر ـ أن يمضوا فى هذا الطريق الشاق ويحتملوا تكاليفه . وهم يواجهون طاغوت الشر فى عنفوانه وجبروته [(١)] .

عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** » [(٢)] .

---

(١) الظلال ، جـ ١ ، ص٤٤٧، ٤٤٨ .

(٢) أخرجه مسلم .

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله على قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وسليمان وعيسى ابن مريم ..** » ثم جلس وكان متكئًا فقال : « **لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطرًا** » [(١)] أى : تعطفوهم وتردوهم .

وعن حذيفة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم** » [(٢)] .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنها ستأتى على الناس سنون خداعة ، يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخوف فيها الأمين ، وينطق فيها ... الرويبضة** » . قيل : وما الرويبضة؟ : « **السفيه يتكلم فى أمر العامة** » [(٣)] .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : « **من أشراط الساعة ... أن يعلو التحوت الوعول** » أكذلك يا عبد الله بن مسعود سمعته من حبى ؟ قال : نعم ورب الكعبة . قلنا : وما التحول ؟ قال : « **فسول الرجال وأهل البيوت الغامضة، يرفعون فوق صالحيهم ، والوعول أهل البيوت الصالحة** » .

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٣ - ١١٥] .

صورة وضيئة تُرفع أمام الراغبين فى هذه الشهادة وفى هذا الوعد ؛ ليحققها فى ذات نفسه كل من يشتاق إلى نورها الوضىء فى أفقها المنير [(٤)] .

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذى .

(٢) أخرجه الترمذى .

(٣) رواه أحمد .

(٤) الظلال : جـ ١ ، ص ٤٥٠ .

لم يشهد لهم الله بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] .

إن طبيعة المؤمن هى طبيعة الأمة المؤمنة . طبيعة الوحدة وطبيعة التكافل ، وطبيعة التضامن ولكنه التضامن فى تحقيق الخير ودفع الشر .

﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ... ﴾ وتحقيق الخير ودفع الشر يحتاج إلى الولاية والتضامن والتعاون ... ومن هنا تقف الأمة المؤمنة صفًا واحدًا ، لا تدخل بينها عوامل الفرقة ، وحيثما وحدت الفرقة فى الجماعة المؤمنة فثمة ولا بد عنصر غريب من طبيعتها ، وعن عقيدتها ، هو الذى يدخل بالفرقة . ثمة غرض أو مرض يمنع السمة الأولى ويدفعها . السمة التى يقررها الخبير العليم !

﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ... ﴾ يتجهون بهذه الولاية إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإعلاء كلمة الله ، وتحقيق الوصاية لهذه الأمة فى الأرض [١] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١١١، ١١٢] .

والذين باعوا هذه البيعة وعقدوا هذه الصفقة هم صفوة مختارة ، ذات صفات مميزة ، منها ما يختص بذوات أنفسهم فى تعاملها المباشر مع الله فى الشعور والشعائر ، ومنها ما يختص بتكاليف هذه البيعة فى أعناقهم من العمل خارج ذواتهم لتحقيق دين الله فى الأرض من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقيام

---

(١) الظلال : جـ ٣ ، ص ١٦٧٥ .

على حدود الله فى أنفسهم وفى سواهم .

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤] .

فهو واجب لله نؤديه : واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتخويف من انتهاك الحرمات لنبلِّغ إلى الله عذرنا ، ويعلم أن قد أدّينا واجبنا ، ثم لعل النصح يؤثر فى تلك القلوب العاصية فيثير فيها وحدات التقوى .

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩] .

وطبيعة المجتمع الصالح لا تسمح للشر والمنكر أن يصبحا عرفًا مصطلح عليه، أو أن يصبح أمرًا سهلاً يجترئ عليه كل من يهم به ، والقائمون بأمر الله ودينه ، عليهم أن يؤدوا أمانتهم التى استحفظوا عليها ، فيقفوا فى وجه الشر والفساد والطغيان والاعتداء ، لا يخافون لومة لائم ، سواءٌ جاء هذا الشر من الحكام المتسلطين بالحكم أو الأغنياء المتسلطين بالمال ، أو الأشرار المتسلطين بالأذى، أو الجماهير المتسلطة بالهوى ، فمنهج الله هو منهج الله ، والخارجون عليه علوا أم سفلوا سواء ، والإسلام يشدد فى الوفاء بهذه الأمانة ، فيجعل عقوبة الجماعة عامة بما يقع فيها من شر ، إذا هى سكتت عليه ، ويجعل الأمانة فى عنق كل فرد بعد أن يضعها فى عنق الجماعة عامة .

وفى الآية غاية التشدد إذا علّل استحقاقهم للعنة بتركهم النهى عن المنكر .

أفضل الجهاد كلمة حق

قال رسول الله ﷺ : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .

أحمد والطبراني

أفضل الجهاد كلمة حق

أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر :

قال تعالى : ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٤] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [الحج:٤١] .

لا يبقون على منكر وهم قادرون على تغييره ، ولا يقعدون عن معروف وهم قادرون على تحقيقه .

وقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة:٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود:١١٦] .

سنة من سنن الله فى الأمم التى يظلم فيها الظالمون ، ويفسد فيها المفسدون فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد فإن سنة الله تحق عليها ، إما باستئصال أو انحلال أو اختلال . فالآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم صمام الأمان للأمم والشعوب ، وهم يحولون دون أممهم وغضب الله واستحقاق النكال والضياع .

وقال رسول الله ﷺ : « **أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله ، ثم صلة الرحم ، ثم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأبغض الأعمال إلى الله تعالى الإشراك بالله ثم قطيعة الرحم** » (١) .

وقال ﷺ : « **أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر** » (٢) .

وقال ﷺ : « **أحب الجهاد إلى الله كلمة حق تقال لإمام جائر** » (٣) .

---

(١) أبو يعلى .

(٢) أحمد وابن ماجه .

(٣) أحمد والطبرانى .

وقال ﷺ : « **إن أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر** » (١) .

وقال ﷺ : « **سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**» (٢) .

وقال ﷺ : «**إن من أمتى أقوامًا يعطون مثل أجور أولهم ينكرون المنكر**» (٣).

يقول مصطفى صادق الرافعى : « أننا نفوس لا ألفاظ ، والكلمة من قائلها هى بمعناها فى نفسه ، لا بمعناها فى نفسها ، فما يحسن بحامل الشريعة أن ينطق بكلام يرده الشرع عليه ، ولو نافق الدين ، لبطل أن يكون دينًا ، ولو نافق العالم الدينى لكان كل منافق أشرف منه ، فلطخة فى الثوب الأبيض ليست كلطخة فى الثوب الأسود ، والمنافق رجل مُغَطى فى حياته ، لكن عالم الدين رجل مكشوف فى حياته لا مغطى ، فهو للهداية لا للتلبيس وفيه معانى النور لا معانى الظلمة ، وذاك يتصل بالدين من ناحية العمل وناحية التّبيين فإذا نافق فقد كذب وغش وخان .

وما معنى العلماء بالشرع إلا أنهم امتداد لعمل النبوة فى الناس دهرًا بعد دهر، ينطقون بكلمتها ، ويقومون بحجتها ويأخذون من أخلاقها كما تأخذ المرآة النور تحويه فى نفسها وتلقيه على غيرها فهى أداة لإظهاره وإظهار جماله معًا (٤) .

وهناك أمثلة وضيئة شفافة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لم تخف فى الله لومة لائم ولم تستح فى إظهار سنة الله فى الأرض وسنة رسول الله ﷺ ولم يمنعها جاه أو سلطان فى الصدع بالحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكانوا بمثابة غرة فى جبين الأمة الإسلامية .

أويس القرنى : قيامه لله بالحق لم يترك له صديقًا :

قال أويس القرنى لرجل من مراد : يا أخا مراد ، إن الموت وذكره لم يدع

(١) الترمذى .

(٢) الحاكم .

(٣) رواه أحمد .

(٤) وحى القلم ، جـ ٣ ، ص ٥٨ ـ ٦٠ .

لمؤمن فرحًا ، وإن علمه بحقوق الله لم يترك له فى ماله فضة ولا ذهبًا ، وإن قيامه لله بالحق لم يترك صديقًا [١] .

عامر بن عبد قيس : فادعوهم واقضوا حاجاتهم :

مر عامر بن عبد قيس ـ رحمه الله ـ فى الرحبة ، وإذا رجل يُظلَم ، فألقى رداءه وقال : لا أرى ذمة الله تخفر وأنا حى فاستنقذه .

ويروى أن سبب إبعاده إلى الشام ، كوْنه أنكر وخلص هذا الذمى .

وبعث إليه أمير البصرة : ما يمنعك أن تأتى الأمراء ؟ قال : إن لدى أبوابكم طلاب الحاجات ، فادعوهم واقضوا حاجاتهم، ودعوا من لا حاجة له إليكم [٢] .

أبو ذر ـ رضى الله عنه : أرقيب أنت علىّ !

قال أبو كثير : أتيت أبا ذر وهو جالس عند الجمرة الوسطى ، وقد اجتمع الناس عليه يستفتونه ، فأتاه رجل فوقف إليه فقال : ألم ينْهَك أمير المؤمنين عن الفتيا ؟ فرفع رأسه ثم قال : أرقيب أنت علىّ ! لو وضعتم الصمصامة على هذه ـ وأشار بيده إلى قفاه ـ ثم ظننت أن أُنفذُ كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تجيزوا علىّ لأنفذتها [٣] .

أبو هريرة ـ رضى الله عنه : لقد هممت أن أفعل وأفعل :

قام أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ إلى مروان بن الحكم وقد أبطأ بالجمعة فقال له : أتظل عند ابنة فلان تروحك بالمراوح وتسقيك الماء البارد ، وأبناء المهاجرين والأنصار يصهرون فى الحر ! لقد هممت أن أفعل وأفعل . ثم قال : اسمعوا من أميركم .

أبو أيوب الأنصارى : لا أدخل لكم بيتًا ولا آكل لكم طعامًا :

قال محمد بن كعب : كان أبو أيوب الأنصارى يخالف مروان ، فقال مروان: ما يحملك على هذا ؟ قال : إنى رأيت رسول الله ﷺ يصلى الصلوات

---

(١) حلية الأولياء جـ ٢، ص ٨٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء جـ ٤ ، ص ١٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء جـ ٢ ، ص [illegible]

فإن وافقته وافقناك وإن خالفته خالفناك .

وقال عبد الله بن عمر : أعرست فدعا أبى الناس فيهم أبو أيوب وقد ستروا بيتى . بجُنادِى أحضر ، فجاء أبو أيوب فطأطأ رأسه، فنظر فإذا البيت مُستَر فقال: يا عبد الله تسترون الجدر ؟ فقال أبى ـ واستحيا : غلبنا النساء يا أبا أيوب. فقال : من خشيت أن تغلبه النساء ، فلم أخش أن يغلبنك ، لا أدخل لكم بيتًا ولا آكل لكم طعامًا (١) .

عبادة بن الصامت : إن عبادة قد أفسد علينا الشام :

عن عبيد بن رفاعة أن عبادة بن الصامت مرت عليه قافلة وهو بالشام تحمل الخمر فقال : ما هذه ؟ أزيت ؟ قيل : لا ، بل خمر يباع لفلان ، فأخذ شفرة من السوق فقام إليها فلم يذر فيها راوية إلا بقرها . . . وأبو هريرة إذ ذاك بالشام فأرسل فلان إلى أبى هريرة فقال : ألا تمسك عنا أخاك عبادة ، أما بالغدوات فيغدو إلى السوق يفسد على أهل الذمة متاجرهم ، وأما بالعش فيقعد فى المسجد ليس له عمل إلا شتم أعراضنا وعيبنا ! قال : فأتاه أبو هريرة فقال : يا عبادة ما لك ولمعاوية ؟ ذره وما حُمِّل . فقال : لم تكن معنا إذ بايعنا على السمع والطاعة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وألا يأخذنا فى الله لومة لائم . فسكت أبوهريرة وكتب فلان إلى عثمان : إن عبادة قد أفسد علينا الشام .

وقال عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول أو نقوم بالحق حيث كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم . وثمة بيعة أخرى (٢) .

إن الله لم يكن ليضل أمة فيها ابن محيريز :

رأى عبد الله بن محيريز بن جنادة يومًا على خالد بن يزيد بن معاوية جُبَّة خز فقال : أتلبس الخز ؟ قال : إنما ألبس لهؤلاء وأشار إلى الخليفة ، فغضب وقال : ما ينبغى أن يعدل خوفك من الله بأحد من خلقه .

(١) السير جـ ٢ ، ص ٤٠٨ .

(٢) البخارى ومسلم .

وقال الأوزاعى : من كان مقتديًا فليقتد بمثل ابن محيريز ، إن الله لم يكن ليضل أمة فيها ابن محيريز .

وقال رجاء بن حيوة : بقاء ابن محيريز ، أمان للناس .

يرحمك الله يا أبا مسلم :

يروى أن أبا مسلم الخولانى أتى معاوية بن أبى سفيان فقال : السلام عليك أيها الأجير . فقال من عنده : أبا مسلم ، السلام عليك أيها الأمير ؛ فقال أبو مسلم : السلام عليك أيها الأجير ، فقال معاوية : دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يريد . فقال : اعلم أنه ليس من أجير استرعى رعية إلا رب الرعية سائله عنها ، فإن داوى مرضاها وجبر كسراها وهَنَأ جرباها ، ورد أولاها على أخراها ، ووضعها فى أُنف من الكلأ وصفو من الماء ، وفَّاه أجره ، وإن كان لم يداو مرضاها ، ولم يهنأ جرباها ولم يجبر كسراها ، ولم يرد أولاها على أخراها ، ولم يضعها فى أنف من الكلأ وصفو من الماء ؛ لم يؤته أجرها ، فانظر أين أنت يا معاوية من ذلك ؟! فقال معاوية : يرحمك الله يا أبا مسلم .

وحبس معاوية بن أبى سفيان العطاء يومًا ، فلما صعد المنبر قام إليه أبو مسلم الخولانى وقال : لم حبست العطاء يا معاوية ؟ إنه ليس من كدك ولا كد أبيك ولا كد أمك حتى تحبس . فغضب معاوية غضبًا شديدًا ونزل من على المنبر وقال للناس : مكانكم ، وغاب عن أعينهم ساعة ثم عاد إليهم فقال : إن أبا مسلم كلمنى بكلام أغضبنى وإنى سمعت رسول الله ﷺ قال : « **الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل** » وإنى دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم ، إنه ليس من كدى ولا كد أمى فهلموا إلى عطائكم .

يقول سيد العفانى : فانظر ـ رحمك الله ـ إلى صدع أبى مسلم بالحق وانظر إلى حلم خال المؤمنين معاوية ـ رضى الله عنه ـ وقبوله ، وأين نحن من غُبار قدم معاوية من أقزام نصبوا أنفسهم آلهة يقولون فلا يرد قولهم هُبل هُبل . . . رمز السخافة والخيانة والعمالة والدجل .

هتَّـافة التهريـج مـا ملُّـوا الثنـاء
زعموا لـه مـا ليـس عنـد الأنبيـاء
مَلَك تجلبب بالضياء وجاء من كبد السماء
هو عالم ومعلِّـم .. هو عبقـرى مُلهم
وسعـى القطيـع غبـاوة يـا للبطـل
وثـن يـقـود جموعهـم يـا للخجـل [(١)]

الإمام الأوزاعى : وما كنت لأبيع نصيحتى بعرض الدنيا كلها :

قال الأوزاعى : بعث إلىَّ أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بساحل الشام فأتيته ، فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد علىّ واستجلسنى ، ثم قال : ما الذى أبطأك عنا يا أوزاعى ؟ قلت : وما الذى تريد يا أمير المؤمنين ؟ قال : أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم . قلت : فانظر يا أمير المؤمنين أن تسمع شيئًا ثم لا تعمل به . فصاح بى الربيع وأهوى بيده إلى السيف ، فانتهزه المنصور وقال: هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة ، فطابت نفسى وانبسطت فى الكلام فقلت : يا أمير المؤمنين ، قال رسول الله ﷺ : « **أيما عبد جاءته موعظة من الله فى دينه ، فإنها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه** » يا أمير المؤمنين ، قال رسول الله ﷺ : « **أيما وال بات غاشًا لرعيته حرم الله عليه الجنة** » يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه فى خدش خدشه أعرابيًا لم يتعمده ، فأتاه جبريل فقال : يا محمد إن الله لم يبعثك جبارًا متكبرًا . فدعا النبى ﷺ الأعرابى فقال : « **اقتص منى** » فقال الأعرابى : قد أحللتك بأبى أنت وأمى ، رض نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك . يا أمير المؤمنين ، إن الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل إليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك . يا أمير المؤمنين ، جاء فى تأويل هذه الآية عن النبى ﷺ : ﴿ **مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا** ﴾ [الكهف:٤٩] . قال : « **الصغيرة التبسم ،**

---

(١) العفانى : صلاح الأمة ، جـ ٣ ، ص ١٠٩ .

والكبيرة الضحك » فكيف بما عملته الأيدى وحصدته الألسن . يا أمير المؤمنين ، بلغنى أن عمر بن الخطاب قال : لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها . فكيف بمن حُرم عدلك وهو على بساطتك . يا أمير المؤمنين ، جاء فى تأويل هذه الآية عن جدك ﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ** ﴾ [ص:٢٦] . قال : يا داود ، أقعد الخصمين بين يديك وإن كان لك فى أحدهما هوى فلا تُمنِّين فى نفسك أن يكون الحق له ، فيفلج على صاحبه ، فأمحوك من نبوتى ثم لا تكون خليفتى . يا داود، جعلت رسلى إلى عبادى رعاء كرعاء لإبل لعلمهم بالرعية ورفقهم بالسياسة، ليجبروا الكسير ويكلئوا الهزيل على الكلأ والماء . يا أمير المؤمنين ، استعمل عمر بن الخطاب رجلاً من الأنصار على الصدقة ، فرآه بعد أيامًا مقيمًا فقال له : ما منعك من الخروج إلى عملك ، أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد فى سبيل الله ؟ قال: لا ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنه بلغنى أن رسول الله ﷺ قال : « **ما من وال يلى شيئًا من أمور المسلمين إلا أتى به يوم القيامة مغلولاً يده إلى عنقه على جسر فى النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة يزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب ، فإنه كان محسنًا نجا بإحسانه ، وإن كان مسيئًا انخرق به ذلك الجسر ، فهو به فى النار سبعين خريفًا** » فقال له : ممن سمعت هذا؟ فقال : من أبى ذر وسلمان . فأرسل إليهما عمر فسألهما فقالا : نعم ، سمعناه من رسول الله ﷺ فقال عمر : واعمراه ، من يتولاها بما فيها ، فأخذ أبو جعفر المنديل فوضعه على وجهه ، ثم بكى وانتحب حتى أبكانى . يقول الأوزاعى : لم قُلت للمنصور : يا أمير المؤمنين ، قد سأل جدك العباس النبى ﷺ إمارة مكة والطائف أو اليمن ، فقال له النبى ﷺ : « **يا عم نَفْسٌ تنجيها ، خير من إمارة لا تحصيها** » نصيحة منه لعمه وشفقة منه عليه ، وأنه لا يغنى عنه من الله شيئًا ؛ إذ أوحى الله إليه : ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾ [الشعراء:٢١٤] . فقال : « **يا عباس ويا صفية ويا فاطمة ، إنى لست أغنى عنكم من الله شيئًا لى عملى ولكم عملكم** » .

وقد قال عمر بن الخطاب : لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل ، لا تأخذه

فى الله لومة لائم . وقال : السلطان أربعة أمراء ، فأمير ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد فى سبيل الله ، يد الله عليه باسطة الرحمة . وأمير ضعيف ظلف نفسه وأرتع عماله بضعفه ، فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله . وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه . فذلك الذى قال رسول الله ﷺ : « **شر الرعاة الحطمة** » فهو الهالك وحده . وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعًا . وقد بلغنى يا أمير المؤمنين أن جبريل أتى النبى ﷺ فقال : أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار ، فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة ، فقال له جبريل : « **صف لى النار** » فقال: إن الله ـ عز وجل ـ أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يضىء لهبها ولا يطفأ جمرها . والذى بعثك بالحق لو أن ثوبًا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعًا . ولو أن ذنوبا من شراها صُبَّ فى ماء الأرض جميعًا لقتل من ذاقه .ولو أن ذراعًا من السلسلة التى ذكر اللهوضع على جبال الأرض جميعًا لذابت وما استقرت ، ولو أن رجلاً أدخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه فبكى النبى ﷺ وبكى جبريل لبكائه وقال : أتبكى يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال: « **أفلا أكون عبدًا شكورًا ! ولم بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين ؟** » فقال: أخاف أن أُبتلى بما أُبتلى به هاروت وماروت .

يا أمير المؤمنين إن أشد الشدة القيام لله بحقه ، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى وإنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ، ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه فهى نصيحتى ، والسلام عليك . ثم نهضت فقال : إلى أين ؟ قلت: إلى الولد والوطن بإذن أمير المؤمنين ، إن شاء الله ، قال : قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك ، وقبلتها بقبولها ، والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبى ونعم الوكيل فلا تخلنى من مطالعتك إياى بمثلها. فإنك المقبول القول غير المتهم فى النصيحة. قلت : أفعل إن شاء الله، قال محمد بن مصعب : فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله . وقال : لنا

فى ذلك غنى عنه ، وما كنت لأبيع نصيحتى بعرض الدنيا كلها . وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه فى رده .

قال عبد الحميد بن حبيب : لما سوينا على الأوزاعى تراب قبره قام وإلى الساحل عند رأسه فقال : رحمك الله أبا عمرو فوالله لقد كنت لك أشد تقية من الذى ولانى فمن ظُلم بعدك فليصبر (١) .

سفيان الثورى : إنى لأرى المنكر فلا أتكلم فأبول كدمًا دمًا :

قال يحيى بن يمان : سمعت سفيان يقول : إنى لأرى المنكر فلا أتكلم فأبول أكدم دما .

وقال يحيى بن يمان : لقيت سفيان عند بنى فزارة فقال : تدرى من أين جئت؟ قلت : لا . قال : مررت بدار الصيدلانيين فنهيتهم عن بيع الدّاذى وإنى لأرى الشيء يجب علىَّ أن آمر فيه وأنهى فأبول دمًا .

وقال الثورى : قال لى المهدى : أبا عبد الله اصحبنى حتى أسير فيكم سيرة العُمرَيْن . قال : قلت : أما وهؤلاء جلساؤك فلا . قال : فإنك تكتب إلينا فى حوائجك فنقضيها . قال سفيان : والله ما كتبت إليك كتابًا قط .

وقال يحيى بن يمان : وقال لى سفيان : إن اقتصرت على خبزك وبقلك لم يستعبدك هؤلاء .

قد ملأت الأرض ظلمًا وجورًا فاتق الله :

وعن سفيان قال : أدخلت على المهدى بمنى فسلمت عليه بالإمرة فقال : أيها الرجل طلبناك فأعجزتنا ، فالحمد لله الذى جاء بك فارفع إلينا حاجتك . فقلت: قد ملأت الأرض ظلمًا وجورًا فاتق الله وليكن منك فى ذلك عبرة فطأطأ رأسه ثم قال : أرأيت إن لم أستطع دفعه ؟ قال : تُخَلِيه وغيرك . فطأطأ رأسه ثم قال: ادفع إلينا حاجتك . قلت : أبناء المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان بالباب فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم ، فقال أبو عبيد الله : أيها الرجل ، ارفع إلينا

---

(١) العفانى جـ ٣، ص ١٢٠ .

حاجتك . قلت : وما ارفع ؟! حدثنى إسماعيل بن أبى خالد قال : حج عمر فقال لخازنه : كم أنفقت ؟ قال : بضعة عشر درهمًا وإنى أرى هاهنا أمورًا لا تطيقها الجبال .

قال عبد الله بن المبارك : إن سفيان دخل على أبى جعفر ، فقال : حاجتك؟ فقال : حاجتى أن لا تدعونى حتى آتيك . وأبو جعفر فى بطشه .

وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى لسعادتهم ؟!

قال القعقاع بن حكيم : كنت عند المهدى وأُتى بسفيان الثورى كبير علماء المسلمين فى عصره فلما دخل عليه سلم ولم يسلم بالخلافة والربيع قائم على رأسه متكئًا على سيفه يرقب أمره ، فأقبل عليه المهدى بوجه طلق وقال له : يا سفيان تفر هنا وهاهنا ، تظن أن لو أردناك بسوء لم نقدر عليك فقد قدرنا عليك الآن ، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا ؟ قال سفيان : أن تحكم فىّ يحكم ملك قادر ، يفرق بين الحق والباطل . فقال له الربيع : يا أمير المؤمنين أبهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ؟ أتأذن لى أن أضرب عنقه ! فقال له المهدى : اسكت ، ويلك وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى لسعادتهم ؟! اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يُعترض عليه فى حُكم . فكتب عهده ودفعه إليه ، فأخذه وخرج ورمى به فى دجلة وغاب عن أنظار الناس ، فطُلب فى كل بلد فلم يوجد فعين مكانه شريك النخعى .

من العبد الميت سفيان إلى العبد المغرور بالآمال هارون :

لما ولى هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء بأسرهم إلا سفيان الثورى فإنه لم يأته ، وكان بينه وبينه صحبة فشق عليه ذلك ، فكتب إليه الرشيد كتابًا يقول فيه: « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى أخيه فى الله سفيان بن سعيد الثورى : أما بعد يا أخى ، فقد علمت أن الله آخى بين المؤمنين وقد آخيتك فى الله مؤاخاة فى الله لم أصرم فيها حَبْلَك ، ولم أقطع منها ودك وإنى منطو لك على أفضل المحبة وأتم الإرادة ، ولولا هذه القلادة التى قلدنيها الله تعالى لأتيتك ولو حبوًا ؛ لما أجد لك فى قلبى من المحبة وإنه لم يبق أحد من

إخوانى وإخوانك إلا زارنى وهنأنى بما صرت إليه وقد فتحت بيوت الأموال ، وأعطيتهم المواهب السنية، ما فرحت به نفسى، وقرت به عينى ، وقد استبطأتك، وقد كتبت كتابًا منى إليك أعلمك بالشوق الشديد إليك وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء فى فضل زيارة المؤمنين ومواصلتهم فإذا ورد عليك كتابى هذا فالعَجَلَ العَجَل » ثم أعطى الكتاب لعباد الطالقانى وأمره بإيصاله إليه . . . . فلما رأى الكتاب ارتعد سفيان وتباعد منه كأنه حية عرضت له فى محرابه . . . وأدخل يده فى كمه وأخذه وقلبه بيده ورماه إلى من كان خلفه وقال : ليقرأه بعضكم فإنى استغفر الله أن أمس شيئًا مسه ظالم بيده . قال عباد : فمد بعضهم يده إليه ، وهو يرتعد كأنه حية تنهشه ثم قرأه فجعل سفيان يتبسم تبسم المتعجب ، فلما فرغ من قراءته ، قال : اقلبوه واكتبوا للظالم على ظهره ، فقيل له : يا أبا عبد الله إنه خليفة فلو كتبت إليه فى بياض نقى لكان أحسن . قال : اكتبوا للظالم فى ظهر كتابه فإن اكتسبه من حلال فسوف يجزى به ، وإن اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ، ولا يبقى شىء مسه ظالم بيده عندنا فيفُسد علينا ديننا ، فقالوا له : ما نكتب إليه ؟ قال : اكتبوا له : « بسم الله الرحمن الرحيم : من العبد الميت سفيان إلى العبد المغرور بالآمال هارون ، الذى سُلب حلاوة الإيمان ولذة قراءة القرآن . أما بعد : فإنى أكتب إليك أُعلمك أنى قد صَرمت حبلك وقطعت ودك ، وأنك قد جعلتنى شاهدًا عليك بإقرارك على نفسك فى كتابك بما هجمت على مال المسلمين فأنفقته فى غير حقه ، وانفذته بغير حكمه ، ولم ترض بما فعلته وأنت ناء عنى ، حتى كتبت إلىّ تشهدنى على نفسك ، فأما أنا قد شهدت عليك أنا وإخوانى الذين حضروا قراءة كتابك ، وستؤدى الشهادة غدا بين يدى الله الحكم العدل . يا هارون قد هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم ، هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها فى أرض الله والمجاهدون فى سبيل الله وابن السبيل ؟! أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم ؛ يعنى العالمين ؟ أم رضى بفعلك الأيتام والأرامل ؟ أم رضى بذلك خلق من رعيتك ؟! فشد يا هارون مئزرك وأعد للمسألة جوابًا وللبلاء جلبابًا واعلم أنك ستقف بين يدى الحكم العدل . فاتق الله فى نفسك ، إذا سُلبت حلاوة العلم والزهد ولذة قراءة القرآن ومجالسة الأخيار ،

ورضيت لنفسك أن تكون ظالمًا وللظالمين أمامًا . يا هارون قد قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت ستورًا دون بابك وتشبهت بالحَجَبَة برب العالمين ، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وتركتهم يظلمون الناس ولا ينصفون ويشربون الخمر ويحدون الشارب ويزنون ويحدون الزانى ، ويسرقون ويقطعون السارق . ويقتلون ويقتلون القاتل ، أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن يحكموا بها على الناس ؟! فكيف بك يا هارون غدًا ، إذا نادى المنادى من قِبل الله : احشروا الظلمة وأعوان الظلمة ، فتقدمت بين يدى الله ويداك مغلولتان إلى عنقك، لا يفكها إلا عدلك وإنصافك والظالمون حولك وأنت لهم إمام أو سائق إلى النار ؟! وكأنى بك يا هارون وقد اخذت بضيق الخناق ووردت المساق وأنت ترى حسناتك فى ميزان غيرك وسيئات غيرك فى ميزانك على سيئاتك بلاء على بلاء ، وظُلمة فوق ظلمة ، فاتق الله يا هارون فى رعيتك واحفظ محمد ﷺ فى أمته ، واعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك إلا وهو صائر إلى غيرك ، وكذلك تفعل الدنيا بأهلها واحدًا بعد واحد ، فمنهم من تزود زادًا نفعه ، ومنهم من خسر دنياه وآخرته وإياك إياك أن تكتب إلىّ بعد هذا فإنى لا أجيبك والسلام » . . . فألقى الكتاب إلى هارون فأقبل يقرؤه ودموعه تنحدر على وجهه وهو يشهق فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين قد اجترأ عليك سفيان ، فلو وجهت إليه فأثقلته فى الحديد وضيقت عليه السجن فجعلته عبرة لغيره ، فقال هارون : اتركوا سفيان وشأنه يا عبيد الدنيا ، المغرور من غررتموه والشقى والله حقًّا من جالستموه ، إن سفيان أُمَّةٌ وَحدَهُ ، ولم يزلْ كتاب سفيان عند الرشيد يقرؤه ويبكى حتى توفى - رحمه الله [(١)] .

ابن أبى ذئب : إنما يقوم الناس لرب العالمين :

لما حج المهدى ، دخل مسجد رسول الله ﷺ فلم يبق أحد إلا قام إلا ابن أبى ذئب ، فقال له المسيب بن زهير : قم هذا أمير المؤمنين . فقال : إنما يقوم الناس لرب العالمين . فقال المهدى : دعه فلقد قامت كل شعرة فى رأسى .

---

(١) سير أعلام النبلاء ، جـ ٧، ص ٢٦٣ - ٢٦٩ .

قال أحمد بن حنبل : ابن أبى ذئب ثقة . قد دخل على أبى جعفر المنصور ، فلم يَهُلْه أن قال له الحق ، وقال : الظلم ببابك فاش . وأبو جعفر أبو جعفر .

ورب هذه البنية إنك لجائر :

قال أبو نعيم : حججت عام حج أبو جعفر ومعه ابن أبى ذئب ومالك بن أنس فدعا ابن أبى ذئب فأقعده معه على دار الندوة : فقال له : ما تقول فى الحسن بن زيد بن الحسن ؟ يعنى أمير المدينة ـ فقال : إنه ليتحرى العدل . فقال له: ما تقول فىَّ ؟ مرتين . فقال : ورب هذه البنية إنك لجائر . قال : فأخذ الربيع الحاجب بلحيته ، فقال له أبو جعفر : كف يا بن اللخن ـ نتن الربح ـ ثم أمر لابن أبى ذئب بثلاثمائة دينار .

إنك لا تعدل فى الرعية ولا تقسم بالسوية :

قال أبو جعفر لابن أبى ذئب : ما تقول فى بنى فلان ؟ قال : أشرار من أهل بيت أشرار ، قالوا : سله يا أمير المؤمنين عن الحسن بن يزيد . وكان عامله على المدينة ، قال : ما تقول فى الحسن ؟ قال : يأخذ بالإحنة ويقضى بالهوى . فقال الحسن : والله يا أمير المؤمنين لو سألته عن نفسك لرماك بداهية ونعتك بشر . قال: ما تقول فىّ ؟ قال : يا أمير المؤمنين اعفنى ـ قال : لا بد أن تقول . قال : إنك لا تعدل فى الرعيَّة ولا تقسم بالسوية . فتغير وجه المنصور ، فقام إبراهيم بن محمد بن علىّ صاحب الموصل وقال : طهرنى بدمه يا أمير المؤمنين . قال له ابن أبى ذئب : اقعد يا بُنى فليس فى دم رجل يشهد [1] أن لا إله إلا الله طهور .

محمد بن أوس : أطع الله عز وجل ... فإنك تصل إلى كل محبوب

كان هارون الرشيد يطوف بالبيت وهو متكئ على الفضل بن الربيع ورجل آخر فقام إليه محمد بن أوس الهلالى واعترضه عند الحجر وقال : يا أمير المؤمنين يا من غذى فى نعيم وتردد فى ملك سليم، إن خفت العذاب الأليم واحببت البقاء فى سرور مقيم ، فلا تسمعن ممن أنت بينهما ولا تغترن بشيء من قولهما ، فإن

(١) السير جـ ٧ ، ص ١٤٠ ـ ١٤٢ .

الله ـ عز وجل ـ يخلو بك دونهما، فالموت يصل إليك على الطوع والكره منهما، فلا تقتصدن بالذليل ولا تتكثرن بالقليل ، ولا تعتصم بغير دافع ، ولا تطمئن إلى غير مانع لا يمنع ولا يدفع عنك . فإنك بعين الله ، وبحضرة بيته الذى جعله مثابة للزائر ، ومنحجراً للفاجر ، فانتفض الرشيد وخلا يديه عنهما وأومأ أن خذوا الرجل فأُخذ حتى قضى طوافه وصلى . . . فقال له الرشيد: فما حملك على أن كلمتنى بالذى كلمتنى به ؟ قال : اشفاقًا عليك ، إذا أنضيت الركاب وأتعبت الرجال ، وأنفقت الأموال فى أمور الله ـ عز وجل ـ أعلم بها ، حتى صرت إلى غاية الطلب وموضع ترجو فيه الرحمة ، اعتمدت على ظالمين طاغين ، قد جُبلا على الغشم ، ونُشِّئا على الظلم وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف:٥١] فنكس الرشيد رأسه وأقبل ينكت فى الأرض وعيناه تذرفان ، ثم رفع رأسه فقال : من أين مطعمك ومشربك ؟ قال : من عند من يرزقك . قال : من ذاك ؟ قال : من عند من فلق الحب والنوى وأخرج الحب من الثرى من طعام سهرت فيه العيون وتعبت فى حصاده الأجساد ، وحرسته الملائكة حتى أتانى به القدر بلا دنق ولا كدر . قال : ألك عيال ؟ قال : نعم . قال : ومن هن ؟ قال : زوجة . قال : أفلا أجرى عليك رزقًا تستعين به على بعض أمورك وتستغنى به عن الطلب من غيرك ؟ قال : نعم ، اطع الله ـ عز وجل ـ فيما تعلم من سرك ، فإنك تصل إلى كل محبوب وتنال به كل مطلوب . قال : ألك حاجة غيرها ؟ قال : أتؤمننى من الموت ؟ قال : لا أقدر على ذلك . قال : فتجيرنى من النار ؟ قال : ليست فى يدى . قال : فتدخلنى الجنة ؟ قال : لست أملك . قال : أفتحى لى ميتًا حتى أسأله عما عاين ورأى ؟ قال : ذاك فى قدرة غيرى . قال : ما أنت إلا كسائر من ترى من رعيتك ، غير أن الله ـ عز وجل ـ فضلك عليهم بما أعطاك من هذا الحطام الزائل واستخلفك فى الأرض لينظر كيف تعمل . فقال الرشيد : الحمد لله الذى جعل فى رعية أنا عليها مِثْلَه ولا تزال هذه الأمة بخير ما لم يعدموا هذا ونظرؤه وأشباهه .

الليث بن سعد : صلاح بلدنا بإجراء النيل وإصلاح أميرها

قال الليث بن سعد : لما قدمت على هارون الرشيد قال لى : يا ليث ، ما صلاح بلدكم ؟ قلت: يا أمير المؤمنين ، صلاح بلدنا بإجراء النيل وإصلاح أميرها

ومن رأس العين يأتى الكدر ، فإذا صفا رأس العين صفت السواقى فقال : صدقت يا أبا الحارث .

عبد الله بن عبد العزيز العمرى : إن من غفلتك إعراضك عن الله

قال مصعب الزبيرى : ما أدركت بالمدينة رجلاً أهيب منه وقدم الكوفة ليخوف الرشيد بالله ، فرجف لمجيئه الدولة ، حتى لو كان نزل بهم من العدو مائة ألف ما زاد من هيبته فَرُد من الكوفة ولم يصل إليه .

وقال العمرى : إن من غفلتك إعراضك عن الله ، بأن ترى ما يُسخطه فتتجاوزه ولا تأمر ولا تنهى خوفًا من المخلوق ، من ترك الأمر بالمعروف خوف المخلوقين نُزعت منه الهيبة ، فلو أمر ولده لا ستخف به .

يا أصحاب القصور المشيدة اذكروا ظلمة القبور الموحشة :

قال محمد بن حرب : قدم العمرى فاجتمعنا عليه . فلما نظر إلى القصور المحدقة بالكعبة صاح : يا أصحاب القصور المشيدة اذكروا ظلمة القبور الموحشة ، يا أهل التنعم والتلذذ ، اذكروا الدود والصديد وبلاء الأجسام فى التراب . ثم غلبته عينه فنام .

إنى أحذرك يومًا تعنو فيه الوجوه والقلوب :

لما قدم أبو جعفر المنصور بغداد ورد عليه كتاب من عبيد الله العمرى فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله أبى جعفر أمير المؤمنين من عبيد الله بن عمر . سلام عليك ورحمة الله التى اتسعت فوسعت من شاء . أما بعد فإنى عهدتك وأمر نفسك لك مهم وقد أصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة ، أحمرها وأسودها وأبيضها وشريفها ووضيعها يجلس بين يديك العدو والصديق ، والشريف والوضيع ولكل حصته من العدل ونصيبه من الحق فانظر كيف أنت عند الله يا أبا جعفر وإنى أحذرك يومًا تعنو فيه الوجوه والقلوب وتنقطع فيه الحجة لملك قد قهرهم وأذلهم بسلطانه والخلق وآخرون يرجون رحمته ويخافون عذابه وعقابه وإنا كنا نتحدث أن أمر هذه الأمة سيرجع فى آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة ، وإنى أعوذ بالله أن تُنزل كتابى سوء المنزل فإنى إنما كتبت

به نصيحة والسلام » [1] .

وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم :

قال سعيد بن سليمان : كنت بمكة وإلى جانبى عبد الله بن عبد العزيز العمرى وهو من نسل عمر بن الخطاب ، وقد حج هارون الرشيد ، فقال له إنسان: يا أبا عبد الله ها هو ذا أمير المؤمنين يسعى ، قد أُخلى له المسعى . فقال العمرى للرجل : لا جزاك الله خيرًا ، كلفتنى أمرًا كنت عنه غنيًا . ثم تعلق نعليه وقام فتتبعته ، فأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا فصاح به : يا هارون . فلما نظر قال : لبيك يا عم . قال : رق الصفا . فلما رقيه قال : أدم نظرك إلى البيت . قال : قد فعلت . قال : كم هو ؟ ـ أى عددهم ـ قال : ومن يحصهم؟ قال : فكم فى الناس مثلهم ؟ قال : خلق لا يحصيهم إلا الله . قال : اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه ، وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم. فانظر كيف تكون . قال : فبكى هارون . قال العمرى : وأخرى أقولها . قال : قل يا عم . قال : إن الرجل ليسرف فى ماله ، فيستحق الحجر عليه فكيف بمن أسرف فى مال المسلمين ! ثم مضى وهارون يبكى .

أبو حازم الأعرج : إن الله قد أخذ على العلماء ليُبيِّنُنَّه للناس ولا يكتمونه

لما حج سليمان بن عبد الملك ودخل المدينة زائرًا لقبر النبى ﷺ سأل عن أحد ممن أدرك أصحاب رسول الله ﷺ فقيل له : هاهنا رجل يقال له : أبو حازم فبعث إليه فجاءه .... فقال له : يا أبا حازم فما تقول فيما ابتلينا به ؟ يعنى الخلافة ـ قال أبو حازم : اعفنا عن هذا وعن الكلام فيه أصلحك الله . قال سليمان : نصيحة تُلقيها . فقال : ما أقول فى سلطان استولى عنوة بلا مشورة من المؤمنين ، ولا اجتماع المسلمين ، فسفكت فيه الدماء الحرام وقطعت به الأرحام وعطلت به الحدود ونكثت به العهود ، ثم لم يلبثوا أن ارتحلوا عنها ، فيا ليت شعرى ما تقولون ؟ وماذا يقال لكم ؟ فقال بعض جلساؤه : بئس ما قلت يا أعور ، أمير المؤمنين يُستقبل بهذا . فقال أبو حازم : اسكت يا كاذب ، فإنما

---

(١) سير أعلام النبلاء جـ ٨ ، ص ٣٧٧، ٣٧٨ .

أهلك فرعون هامان وهامان فرعون ، إن الله قد أخذ على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه .

أخاف أن أركن إلى الذين ظلموا :

قال سليمان بن عبد الملك : يا أبا حازم كيف نصلح ما فسد منا ؟ فقال : المأخذ فى ذلك قريب يسير يا أمير المؤمنين . فاستوى سليمان جالسًا من اتكائه فقال : كيف ذلك ؟ فقال : تأخذ المال من حله وتضعه فى أهله . وكف الأكف عما نُهيت ، وتمضيها فيما أُمرت به . قال سليمان : ومن يطيق ذلك ؟ فقال أبو حازم : من هرب من النار إلى الجنة ونبذ سوء العادة إلى خير العبادة . فقال سليمان : أصبحنا يا أبا حازم وتوجه معنا ، تُصب منا ونصب منك . قال أبو حازم : أعوذ بالله من ذلك . قال سليمان : ولم يا أبا حازم ؟ قال : أخاف أن أركن إلى الذين ظلموا فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات . فقال سليمان : فتزورنا . قال أبو حازم : إنا عهدنا الملوك يأتون العلماء ، ولم يكن العلماء يأتون الملوك ، فصار فى ذلك صلاح الفريقين ، ثم صرنا الآن فى زمان صار العلماء يأتون الملوك والملوك تقعد عن العلماء ، فصار فى ذلك فساد الفريقين جميعًا .

الإفريقى : جئت لأعلمك بالجور ببلدنا فإذا هو يخرج من دارك ؟!

قال إسماعيل بن عياش : ولى السفاح فظهر حور بإفريقيه فوفد شيخ الإسلام الإفريقى على أبى جعفر مشتكيًا . ثم قال : جئت لأعلمك بالجور ببلدنا ، فإذا هو يخرج من دارك ؟! فغضب وهم به . وقيل : قال له : كيف لى بأعوان ؟ قال : أفليس عمر بن عبد العزيز كان يقول : الوالى بمنزلة السوق ، يُجلب إليه ما ينفق فيه ؟ فأطرق طويلاً ، فأما إلى الربيع الحاجب بالخروج [1] .

الحكم بن عمرو الغفارى : كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين

روى أن زياد بن أبيه والى العراق كتب إلى قائد الجيش الحكم بن عمرو الغفارى : أن أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان كتب إلىّ يأمرنى أن أصطفى له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهبًا ولا فضة وأقسم ما سوى ذلك .

(١) سير أعلام النبلاء ، جـ ٦، ص ٤١٢ .

فكتب إليه الحكم إنى وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين . والله لو أن السموات والأرض كانتا رتقا على عبد فاتقى الله لجعل منهما مخرجًا . ثم نادى فى الناس وقسم فيهم ما اجتمع إليه من أموال الفىء .

سمعان بن معمر : فكيف ينصح غيره من غش نفسه ؟!

قام عبد الملك بن مروان ليخطب فى الناس ذات يوم . وكان بالكوفة ـ فقام إليه رجل اسمه سمعان بن معمر وقال له : مهلاً يا أمير المؤمنين ، اقض بصاحبى بحقه ثم اخطب فقال عبد الملك : وما ذاك ؟ فقال سمعان : إن لهذا الرجل مظلمة فجئتك به لأنظر عدلك الذى كنت تعرنا به قبل توليتك . فقال عبد الملك: ما بدا لك أن تقول . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين إنكم تأمرون ولا تأتمرون . وتنهون ولا تنتهون ، وتعظون ولا تتعظون ، افنقتدى بسيرتكم أم نطيع أمركم بألسنتكم ؟! فإن قلتم : أطيعوا أمرنا وأقبلوا نصحنا . فكيف ينصح غيره من غش نفسه ؟! وإن قلتم : خذوا الحكمة حيث وجدتموها ، وأقبلوا العظة ممن سمعتموها. فعلام قلدناكم أزمة أمورنا . وحكمناكم فى دمائنا وأموالنا ؟! أو ما تعلمون أن منا من هو أعرف منكم بصنوف اللغات ، وأبلغ فى العظات . فإن كانت الإمامة قد عجزت عن إقامة العدل فينا ، فخلوا سبيلها وأطلقوا عقالها ، أما والله لئن بقيت فى أيديكم إلى بلوغ الغاية واستيفاء المرة ، لتَضمحِلّ حقوق الله وحقوق العباد ـ فقال عبد الملك : وكيف ذلك ؟ فقال سمعان : لأن من كلمكم فى حقه زُجر ، ومن سكت عن حقه قهر ، فلا قوله مسموع ، ولا ظُلْمُه مرفوع ولا من جار عليه مردوع ، وبينك وبين رعيتك مقام تزول منه الجبال ، حيث ملكك هناك خامل ، وعزّك زائل ، وناصرك خاذل ، والحاكم عليك عادل، فبكى عبد الملك ثم قال للرجل : ما حاجتك ؟ فقال : عاملك بالسماوة ظلمنى وليلُهُ لهو ، ونهاره لغو ، ونظره زهو . فكتب إليه بإعطائه ظلامته ثم عزله .

قد ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم :

دخل أعرابى على سليمان بن عبد الملك . فقال له : يا أمير المؤمنين إنى مكلمك بكلام فاحتمله . . . قال سليمان : قل يا أعرابى . فقال: يا أمير المؤمنين

قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم ، خافوك فى الله ولم يخافوه فيك ، خربوا الآخرة وعمروا الدنيا ، فهم حرب للآخرة سلم للدنيا فلا تأتمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فإنهم لن يألوا الأمانة إلا تضييعًا ، والأمة خسفًا وأنت المسئول عما اجترحوا وليسوا بمسئولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفاسد آخرتك ، فإن أعظم الناس غبنًا بائع آخرته بدنيا غيره .

طاووس : أتعلمون من أبغض الخلق إلى الله تعالى ؟!

قال طاووس لسليمان بن عبد الملك ورجاء بن حيوة : أتعلمون من أبغض الخلق إلى الله تعالى ؟ قالوا : لا . فقال : إن أبغض الخلق إلى الله تعالى عبد أشركه الله فى سلطانه فعمل فيه بمعاصيه . ثم نهض . قال رجاء بن حيوة : فأظلم علىّ البيت ، فما زلت خائفًا عليه حتى توارى ، فرأيت سليمان يحك رأسه بيده ، حتى خشيت أن تخرج أظافره لحمَ رأسه .

فليس كل الناس راضين بإمرتك :

أتى طاووس إلى هشام بن عبد الملك ، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلِّم بإمرة المؤمنين ، ولكن قال : السلام عليك ولم يُكنِّه ، ولكن جلس بإزائه . قال : كيف أنت يا هشام ؟ فغضب هشام غضبًا شديدًا ، حتى هم بقتله ، فقيل له : أنت فى حرم الله ورسوله فلا يمكن ذلك . فقيل له : يا طاووس، ما الذى حملك على ما صنعت ؟ قال : وما الذى صنعت ؟! فازداد هشام غضبًا ، وقال : لقد خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تقبل يدى ، ولم تسلم بإمرة المؤمنين ،ولم تُكننى وجلست بأزائى بغير إذنى ، وقلت : كيف أنت يا هشام . فقال : أما ما خلعت نعلى بحاشيته بساطك ، فإنى أخلعها بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات ، فلا يعاتبنى ولا يغضب على ، وأما قولك : لم تقبل يدى ، فإنى سمعت على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ يقول : لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولد برحمة . وأما قولك : لم تسلم بإمرة أمير المؤمنين ، فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب . وأما قولك : جلست بإ[illegible] [illegible]عت أمير المؤمنين على بن أبى طالب

يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار ، فانظر إلى رجل جالس وحوله ناس قيام ، وأما قولك : لم تُكَنِّنى . فإن الله ـ عز وجل ـ سمى أولياءه وقال : يا داود ، يا يحيى ، يا عيسى . وكنى أعداءه ، فقال : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد:١] ، فقال هشام : عظنى . فقال : سمعت أمير المؤمنين عليًا ـ كرم الله وجهه ـ يقول : « إن فى جهنم حيات كأمثال القِلال ، وعقاب كالبغال ، تلدغ كل أمير لا يعدل فى رعيته » ثم قام وذهب .

عمر بن عبد العزيز : لا تحيى ذكرى الحجاج

لما أراد سليمان بن عبد الملك أن يستكتب كاتب الحجاج بن يوسف الثقفى يزيد بن أسلم ، قال له عمر بن عبد العزيز : أسألك بالله يا أمير المؤمنين أن لا تُحيى ذكرى الحجاج باستكتابك أياه . فقال : يا أبا حفص ، إنى لم أجد عنده خيانة دينار ولا درهم . قال عمر : أنا أوجدك من هو أعف منه فى الدينار والدرهم . قال : ومن هو ؟ قال : إبليس ، ما مس دينارًا ولا درهمًا ، وقد أهلك هذا الخلق .

أفلا أخبرك بأعجب من هذا ؟

حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز ، فلما أشرفا على قبة عسفان نظر سليمان إلى السرادقات قد ضربت فقال له : يا عمر كيف ترى ؟ قال: أرى دنيا عريضة يأكل بعضها بعضًا ، وأنت المسئول عنها والمأخوذ بها . فبينما هم كذلك إذ طار غراب من سرادقات سليمان فى منقاره كسره ، فصاح ، فقال سليمان : ما يقول هذا الغراب ؟ قال عمر : ما أدرى ما يقول ولكن إذا شئت أخبرتك بعلم . قال : أخبرنى . قال : هذا غراب طار من سرادقاتك ، فى منقاره كسره أنت بها مأخوذ ، وعنها مسئول ، من أين دخلت ومن أين خرجت . قال : إنك لتخبرنا بالعجائب . قال : أفلا أخبرك بأعجب من هذا ؟ قال : بلى . قال : من عرف الله ،كيف عصاه ؟! ومن عرف الشيطان كيف أطاعه ؟! ومن أيقن الموت ، كيف يهنيه العيش ؟! قال : لقد غثثت علينا ما نحن فيه ثم ضرب فرسه وسار .

زياد العبدى : ما أحد من أمة محمد إلا وهو خصم لك

تقدم زياد العبدى على عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : يا زياد ألا ترى ما ابتليت به من أمر أمة محمد ﷺ . قال : يا أمير المؤمنين ، لا تُعمل نفسك فى الوصف واعمل نفسك فى المخرج مما وقعت فيه ، فلو أن كل شعره منك نطقت، ما بلغت كُنه ما أنت فيه ، يا أمير المؤمنين أخبرنى عن رجل له خصم ألد ما حاله؟ قال : سيئ الحال ، قال : فإن كان خصمين لدّين ؟ قال : ذاك أسوأ لحاله . قال : فإن كانوا ثلاثة ؟ قال : ذلك حين لا يهنؤه عيش . قال : فوالله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد إلا وهو خصم لك ، قال : فبكى عمر حتى أكون أن لا أكون قلت له . وقال عمر له مرة : يا زياد ، إنى أخاف أن أكون قد هلكت؟ قال : أنا أخاف عليك أن لا تكون تخاف .

أبو قلابة : إذا كان الله معك فمن تخاف !

حكى أن أبى قلابة دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له : يا أبا قلابة عظنى فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه لم يبق من لدن آدم إلى يومنا هذا خليفة غيرك. قال له : زدنى . قال : وأنت أول خليفة يموت . قال : زدنى ، قال : إذا كان الله معك فمن تخاف ! وإذا كان عليك فمن ترجو ! قال : حسبى .

سالم : ما سألت الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها ؟!

حج هشام بن عبد الملك أيام خلافته فدخل الكعبة فوجد فيها سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ جميعًا ، فقال الخليفة : يا سالم ، سلنى حاجتك . فقال له سالم : إنى لأستحى من الله أن أسأل فى بيته غيره . فلما خرج سالم من الكعبة ، خرج هشام فى أثره . وقال له : الآن خرجت من بيت الله فسلنى حاجة . فقال سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ فقال هشام : من حوائج الدنيا . فقال سالم : إنى ما سألت الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها ؟!

ولا تضربن لغضبك سوطًا واحدًا فتدخل النار :

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصرى : عظنى . فكتب إليه الحسن :

أما بعد يا أمير المؤمنين فكن للمثْل من المسلمين أخًا وللكبير ابنا وللصغير أبًا ، وعاقب كل واحد منهم بذنبه على قدر جسمه ولا تضربن بغضبك سوطًا واحدًا فتدخل النار .

إن استقمت استقاموا :

كتب الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين إن استقمت استقاموا وإن ملت مالوا . يا أمير المؤمنين لو أن لك عمر نوح وسلطان سليمان ويقين إبراهيم وحكمة لقمان ، ما كان لك بد من أن تقتحم العقبة الجنة أو النار من أخطأته هذه دخل هذه . فلما أتاه الكتاب أخذه فوضعه على عينيه ثم بكى ثم قال : كيف لى بعمر نوح ويقين إبراهيم وسلطان سليمان وحكمة لقمان ؟! ولو نلت ذلك لم يكن لى بد أن أشرب بكأس الأولين (١).

أما أهل السموات فقد مقتوك وأما أهل الأرض فقد لعنوك :

روى أن الحجاج بنى دارًا وأحضر الحسن البصرى ليراها فلما دخلها قال : الحمد لله ، إن الملوك يرون لأنفسهم عزًا ، وإنا لنرى فيهم كل يوم عبرًا يعمد أحدهم إلى قصر فيشيده ، وإلى فرش فينجده ، وإلى ملابس ومراكب فيحسنها ، ثم يحف به ذباب طمع وفراش نار وأصحاب سوء ، فيقول : انظروا ما صنعت : فقد رأينا أيها المغرور فكان ماذا يا أفسق الفاسقين ! أما أهل السموات فقد مقتوك وأما أهل الأرض فقد لعنوك ، بنيت دار الفناء وخربت دار البقاء وغُررت فى دار الغرور لتذل فى دار الحبور . ثم خرج وهو يقول : إن الله سبحانه أخذ عهده على العلماء ، ليبينه للناس ولا يكتمونه . وبلغ الحجاج ما قال فاشتد غضبه وجمع أهل الشام فقال : يا أهل الشام ، أن يشتمنى عبد من عبيد أهل البصرة وأنتم حضور فلا تنكرون ؟! ثم أمر بإحضاره ، فجاء وهو يحرك شفتيه بما لم يُسمع ، حتى دخل على الحجاج ، فقال له الحجاج : هاهنا اجلس . فأجلسه قريبًا منه وقال : ما تقول فى على وعثمان ؟ قال : أقول قول من هو خير منى عند من هو شر منك . قال : قال موسى لفرعون حين سأله : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ

(١) العفانى : صلاح الأمة ، جـ ٣ ، ص ١٥٢ ـ ١٦٢ .

الْقُرُونِ الأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى ﴾ [طه: ٥١، ٥٢] .
عِلْم على وعثمان عند الله ، قال : أنت سيد العلماء يا أبا سعيد ودعا بطيب وعلف بها لحيته ، فلما خرج تبعه الحاجب فقال له : ما الذى كنت قلت حين دخلت عليه ؟ قال : قلت : « يا عدتى عند كربتى ، ويا صاحبى عند شدتى ، يا ولى نعمتى ويا إلهى وإله آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، ارزقنى مودته واصرف عنى أذاه » ففعل ربى - عز وجل .

إنى أخوفك مقامًا خوفك الله عز وجل :

لما قدم عمرو بن هبيرة العراق أرسل إلى الحسن البصرى والشعبى وأمر لهما ببيت فكانا فيه شهرًا ونحوه ثم جاء عمرو إليهما فسلم ثم جلس معظمًا لهما فقال: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك كتب إلى كتبًا ، اعرف أن فى إنفاذها الهلاك، فإن أطعته عصيت الله وإن عصيته أطعت الله ، فهل تريا لى فى متابعتى إياه مخرجًا ؟ فقال الحسن للشعبى : أجب الأمير . فتكلم الشعبى كلامًا يريد به إبغاء وجهه عنده - أى يريد إرضاءه - فقال ابن هبيرة للحسن : ما تقول أنت يا أبا سعيد ؟ قال : أقول : يا بن هبيرة ، أوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله فظ غليظ ، لا يعصى الله ما أمره ، فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ، يا عمرو بن هبيرة ، لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل فى طاعة يزيد بن عبد الملك فيغلق به باب المغفرة دونك ، يا عمرو بن هبيرة لقد أدركت ناسًا من صدر هذه الأمة كانوا عن هذه الدنيا وهى مقبلة أشد إدبارًا من إقبالكم عليها وهى مدبرة يا عمرو بن هبيرة ، إنى أخوفك مقامًا خوفك الله - عز وجل - فقال : ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١٤] ، يا عمرو بن هبيرة ، إن تك مع الله فى طاعته كفاك يزيد بن عبد الملك . وإن تك مع يزيد على معاصى الله وكلك الله إليه . فبكى عمرو بن هبيرة وقام بَعَبْرته .

خالد بن صفوان : إن أقوامًا غرهم ستر الله :

قال عمر بن عبد العزيز لخالد بن صفوان : عظنى وأوجز . فقال خالد بن صفوان : يا أمير المؤمنين ، إن أقوامًا غرهم ستر الله ، وفتنهم حسن الثناء ، فلا

يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك ، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين وبثناء الناس مفتونين ، وعما افترض الله علينا متخلفين وإلى اللهو مائلين يا أمير المؤمنين : إن الله لم يرض أحدًا أن يكون فوقك ، فلا ترض أن يكون أحد أولى بالشكر منك .

يعلى بن مخلد : أشهد أنك قرين فرعون وهامان

دخل يعلى بن مخلد المجاشعي على الحجاج في مرض الموت فقال له : كيف ترى ما بك يا حجاج من غمرات الموت وسكراته ؟ فقال : يا يعلى ، غمًا شديدًا وجهدًا جهيدًا وألمًا مضيضًا ، ونزعًا حريضًا ، وسفرًا طويلاً ، وزادًا قليلاً ، فويلي ويلي إن لم يرحمني الجبار . فقال : يا حجاج إنما يرحم الله من عباده الرحماء الكرماء أولي الرحمة والرأفة والتحنن والتعطف على عباده وخلقه ، أشهد أنك قرين فرعون وهامان لسوء سيرتك وترك ملتك وتنكبك عن قصد الحق وسنن المحجة وآثار الصالحين ، قتلت صالحي الناس فأفنيتهم ، وأبرت عترة التابعين فتبرتهم وأطعت المخلوق في معصية الخالق ، وهرقت الدماء ، وضربت الأبشار ، وهتكت الأستار ، وسست سياسة متكبر جبار ، لا الدين أبقيت ولا الدنيا أدركت أعززت بني مروان ، وأذللت نفسك ، وعمرت دورهم وأخربت دارك . فاليوم لا ينجونك ولا يغيثونك ، إذا لم يكن لك في هذا اليوم ولا لما بعده نظر . لقد كنت لهذه الأمة اهتمامًا واغتمامًا ، وعناء وبلاء ، فالحمد لله الذي أراحها بموتك وأعطاها مُناها بخزيك . قال : فكأنما قطع لسانه عنه ، فلم يحر جوابًا وتنفس الصعداء وخنقته العبرة ثم رفع رأسه فنظر إليه وأنشأ يقول :

رب إن العباد قد أيَاسُـونى ورجائي لك الغداة عظيم

أفأنت ما علمت أن الله ربي ؟!

بينما أن الحجاج جالس في الحجر إذ دخل رجل من أهل اليمن فجعل يطوف فوكل به بعض من معه ، فقال : إذا خرج من طوفه فائتني به . فلما فرغ من طوفه فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل اليمن . قال : ألك علم بمحمد بن يوسف ؟ قال : نعم . قال : فأخبرني عنه ، قال : لقد تركته أبيض بضًا سمينًا

طويلاً عريضًا . قال : ويلك ، وليس عن هذا أسألك . قال : فعمه؟ قال : عن سيرته وطُعمته . قال : فأجْوَرُ السِّير ، وأخبث الطُعم ، وأعدى العداة على الله وأحكامه . قال : فغضب الحجاج . وقال : ويلك . أما علمت أنه أخى ؟ قال: بلى ، قال : أفأنت ما علمت أن الله ربى ؟ والله لهو أمنع لى منك ، أكثر منك لأخيك . قال : أجل ، أرسله يا غلام .

مالك بن دينار : أما أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة

مر المهلب بن أبى صفرة على مالك بن دينار ، وهو يتبختر فى مشيته ، فقال له مالك : أما علمت أن هذه المشيه تكره إلا بين الصفين ؟ فقال له المهلب : أما تعرفنى ؟ فقال مالك : اعرفك أحسن المعرفة . قال : وما تعرف منى ؟ قال : أما أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بينهما تحمل العذرة ، قال : فقال المهلب : الآن عرفتنى حق المعرفة .

صالح المرى : فأعد لمخاصمة الله ورسوله حُجَجًا تضمن لك النجاة أو استسلم للهلكة

قال صالح المرى للمهدى : اعلـم أن رسول الله ﷺ خصم من خالفه فى أمته ، ومن كان محمد خصمه : الله خصمه ، فأعد لمخاصمة الله ومخاصمة رسوله حُجَجًا تضمن لك النجاة أو استسلم للهلكة . واعلم أن ابطأ الصرعى : نهضة صريع هوًى يدعيه إلى الله قربة ، وأن أثبت الناس قدمًا يوم القيامة آخدهم بكتاب الله وسنة نبيه . فمثلك لا يكابر المعصية ، ولكن تُمثَّل الإساءة له إحسانًا وتشهد له عليها خونة العلماء ، وبهذه الحبالة تصيدت الدنيا نظرائك فأحسن الحَمْل ، فقد أحسنت إليك الأداء ، فبكى المهدى . وقد روى أن هذا الكلام مكتوبًا فى دواوين المهدى [(١)] .

بهلول المجنون : هذه قصورهم وهذه قبورهم

حينما التقى هارون الرشيد بالبهلول ، قال له : عظنى يا بهلول ، فقال له بهلول : بم أعظك يا أمير المؤمنين ؟! هذه قصورهم . وهذه قبورهم . ثم قال :

(١) العفانى : صلاح الأمة ، جـ ٣ ، ص ١٦٠ ـ ١٧٣ .

كيف بك يا أمير المؤمنين إذا أقامك الحق بين يديه وسألك عن الفقير والفتيل والقطمير وأنت عطشان جوعان عريان ، وأهل الموقف ينظرون إليك ويضحكون. فإذا بهارون تخنقه العبرة وتسيل دموعه ، ويأمر بصلة لبهلول ، فقال له بهلول : ردها على من أخذتها منهم ، قبل أن لا تجد لهم شيئًا ترتضيهم به . ثم أنشد :

دع الحرص على الدنيـا وفى العيـش فـلا تطمـع
فـإن الـرزق مقسـوم وسوء الظـن لا ينفـع
فقيـر كـل ذى حـرص غنى كـل مـن يقنـع

ابن السماك : لو منعت عنك هذه الشربة فبكم كنت تشتريها ؟

حينما دخل ابن السماك على أمير المؤمنين الرشيد ، فقال له الرشيد: عظنى. فقال : يا أمير المؤمنين ، اتق الله وحده لا شريك له ، واعلم أنك واقف غداً بين يدى الله ربك . ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثالث لهما : جنة أو نار . فبكى هارون حتى ابتلت لحيته بالدموع . ثم طلب هارون ماءً ليشرب ، فلما وضع الماء على فيه ليشرب ، قال له ابن السماك : على رسلك يا أمير المؤمنين بقرابتك من رسول الله ﷺ لو منعت عنك هذه الشربة فبكم كنت تشتريها ؟ قال : بنصف ملكى . فقال له ابن السماك : اشرب هنأك الله . فلما شرب ، قال له أسألك يا أمير المؤمنين بقرابتك من رسول الله ﷺ لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتريها ؟ قال : بجميع ملكى . قال ابن السماك : إن ملكًا قيمته شربة ماء لجدير أن لا ينافس فيه . فبكى هارون الرشيد حتى أشفق الحاضرون عليه .

إنى أحذرك ليلة تَمخضُ صبيحتها عن يوم القيامة :

قال المنصور : يا أبا عثمان عظنى ، فقال : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها واعلم أن هذا الأمر الذى صار إليك إنما كان فى يد من كان قبلك ثم أفضى إليك وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك وإنى أحذرك ليلك تمخض صبيحتها عن يوم القيامة .

عمرو بن عبيد : إن وراء بابك نيرانًا تتأجج من الجور

دخل عمرو بن عبيد على المنصور ، فقال: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل

يوقفك ويسألك عن مثقال ذرة من الخير والشر . وإن الأمة خصماؤك يوم القيامة، وإن الله ـ عز وجل ـ لا يرضى منك إلا بما ترضاه لنفسك ، ألا وإنك لا ترضى لنفسك إلا بأن يعدل عليك . وإن الله ـ عز وجل ـ لا يرضى منك إلا بأن تعدل على الرعية ، يا أمير المؤمنين إن وراء بابك نيرانًا تتأجج من الجور ، والله ما يُحكم وراء بابك بكتاب الله ولا بسنة نبيه ﷺ .

الفضيل بن عياض : لقد كُلفت أمرًا عظيمًا

قال الفضيل بن عياض : لما دخل على هارون الرشيد أمير المؤمنين ، قال : أيكم هو ؟ فأشاروا إلى أمير المؤمنين ، فقال : أنت هو يا حسن الوجه ؟! لقد كُلفت أمرًا عظيمًا ، إنى ما رأيت أحدًا أحسن وجهًا منك ، فإن قدرت أن لا تسود هذا الوجه بلفحة من النار فافعل . فقال لى : عظنى . فقلت : بماذا أعظك؟ هذا كتاب الله بين الدفتين ، انظر ماذا عمل بمن أطاعه ؟ وماذا عمل بمن عصاه ؟ إنى رأيت الناس يعرضون على النار عرضًا شديدًا ، ويطلبونها طلبًا شديدًا حثيثًا ، أما والله لو طلبوا الجنة بمثلها أو أيسر لنالوها . فقال : عد إلىّ . فقال : لو لم تبعث إلىّ لم آتك وإن انتفعت بما سمعت منى عدت إليك [١] .

فالأمر قريب والموعد الصراط والحاكم الله :

أمر هارون الرشيد يحيى بن خالد بحبس رجل جنى جناية فحبسه ، ثم سأل عنه الرشيد . فقيل له : هو كثير الصلاة والدعاء . فقال للموكل به : عَرِّض له بأن يكلمنى ويسألنى إطلاقه . فقال له الموكل ذلك . فقال : قل لأمير المؤمنين : إن كل يوم يمضى من نعمتك ينقص من محنتى ، فالأمر قريب ، والموعد الصراط ، والحاكم الله . فخر الرشيد مغشيًا عليه ، ثم أفاق وأمر بإطلاقه [٢] .

الغزالى : إن طباع الرعية نتيجة طباع الملك

كتب الإمام الغزالى إلى السلطان محمد بن ملك شاه السلجوقى : ويجب أن تعلم أن صلاح الناس فى حسن سيرة الملك فينبغى للملك أن ينظر فى أمور رعيته

---

(١) الحلية جـ ٨ ، ص ١٠٥ ـ ١٠٨ .
(٢) صلاح الأمة جـ ٨ ، ص ١٨٦ .

ويقف على قليلها وكثيرها وعظيمها وحقيرها لا يشارك رعيته فى الأفعال المذمومة ويجب عليه احترام الصالحين وأن ينبت على الفعل الجميل ويمنع من الفعل الردىء الوبيل ، ويعاقب من ارتكاب القبيح ولا يحابى من أصر على القبيح ، ليرغب الناس فى الخيرات ويحذروا من السيئات ، ومتى كان السلطان بلا سيادة وكان لا ينهى المُفسد عن فساده ويتركه على مراده ، أفسد سائر أمور دولتـه . وقال الحكماء : إن طباع الرعية نتيجة طباع الملوك ؛ لأن العوام إنما يبخلون ويركبون الفساد وتضيق أعينهم اقتداء منهم بملوكهم ، فإنهم يتعلمون منهم ، ويلزمون طباعهم ، ألا ترى أنه قد ذكر فى التاريخ أن الوليد بن عبد الملك كان مصروف الهمة إلى العمارة والزراعة وكان سليمان بن عبد الملك همته فى الأكل وتطييب الطعام وقضائه الأوطار وبلوغ الشهوات . وكانت همه عمر بن عبد العزيز فى العبادة والزهادة .

العز بن عبد السلام : يحرم عليكم مبايعتُهم لأنكم تتحققون أنهم يشترونه ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين

لما تحالف الصالح إسماعيل حاكم دمشق مع الصليبين وأسلمهم قلعة صفد وصيدا وبعض ديار المسلمين اختيارًا ، لينجدوه على الصالح نجم الدين أيوب حاكم مصر ، فدخل الصليبيون دمشق لشراء السلاح ، ليقاتلوا المسلمين فشق ذلك على سلطان العلماء العز بن عبد السلام مشقة عظيمة فى مبايعة الفرنج السلاح وعلم المتدينين من المتعيشين من السلاح ، فاستفتوا الشيخ فى مبايعة الفرنج السلاح فقال : « يحرم عليكم مبايعتْهم لأنكم تتحققون أنهم يشترونه ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين » .

وترك عز الدين الدعاء للحاكم فى الخطبة فى الجامع وكان يدعو بعد الفراغ من الخطبتين : « اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد تعز فيه وليك وتذل فيه عدوك ويعمل فيه بطاعتك وينهى فيه عن معصيتك » والناس يبتهلون بالتأمين والدعاء للمسلمين والنصر على أعداء الله الملحدين .

والله يا مسكين ما أرضاه أن يُقِّبل يدى فضلاً عن أن أُقبِّل يده . يا قوم أنتم فى واد وأنا فى واد

ولما كاتب أعوان الشيطان السلطان بذلك وحرفوا القول وزخرفوه فجاء الأمر باعتقال العز بن عبد السلام . ثم أُخرج من دمشق إلى بيت المقدس . فلما دخل الصليبيون بيت المقدس أرسل إليه الملك الصالح يأمره بالعودة إلى دمشق ، فلما اجتمع رسول الله الصالح بالشيخ العز شرع فى مسايسته وملاينته ، ثم قال : بين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة ، أن تنكسر للسلطان ، وتقبل يده لا غيره ، فرد عليه العز بن عبد السلام : والله يا مسكين ، ما أرضاه أن يُقِّبل يدى فضلاً أن أقبل يده . يا قوم أنتم فى واد وأنا فى واد ، الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به [١] .

لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليه وشربنا مرقتها :

فلما رفض العز بن عبد السلام طلب رسول السلطان الصالح إسماعيل . قال الرسول : قد رسم لى إنْ لم توافق على ما يُطلب منك وإلا اعتقلتك فقال : افعلوا ما بدا لكم . فأخذه واعتقله فى خيمة إلى جانب خيمة السلطان . وكان الشيخ يقرأ القرآن والسلطان يسمعه ، فقال يومًا لملوك الصليبين : تسمعون هذا الشيخ الذى يقرأ القرآن ؟ قالوا : نعم . قال : هذا أكبر قُسُوس المسلمين ، وقد حبسته لإنكاره علىّ تسليمى لكم حصون المسلمين ، وعزلته عن الخطابة بدمشق وعن مناصبه ، ثم أخرجته فجاء إلى القدس ، وقد جددت حبسه واعتقاله من أجلكم . فقالت له ملوك الفرنج الصليبين : لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليه وشربنا مرقتها .

استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان قُدَّامِى كالقط :

قال أبو الحسن الباجى تلميذ العز : « طلع شيخنا عز الدين مرة إلى السلطان فى يوم عيد إلى القلعة ، فشاهد العسكر مصطفين بين يديه ومجلس المملكة وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة ، وقد خرج على قومه فى زينته على عادة

(١) طبقات الشافعية جـ ٨ ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٧ .

سلاطين الديار المصرية ، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يدى السلطان فالتفت الشيخ إلى السلطان ، وناداه : يا أيوب . . . ما حجتك عند الله إذا قال لك : يا أيوب ألم أُبَوِّئ لك ملك مصر ، ثم تبيح الخمور ؟! فقال : هل جرى هذا ؟ قال : نعم الحانة الفلانية تباع فيها الخمور ، وغيرها من المنكرات وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة ـ يناديه بأعلى صوته والعساكر واقفون ـ فقال : يا سيدى هذا ما أنا عملته ، هذا من زمانى أبى فقال : أنت من الذين يقولون : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ [الزخرف:٢٢] . فأمر السلطان بإغلاق الحانة ، قال الباجى : فسألت الشيخ لما جاء من عند السلطان وقد شاع هذا الخبر : يا سيدى ، كيف الحال ؟ فقال : يا بنى رأيته فى تلك العظمة فأردت أن أهنيه لئلا تكْبُر عليه نفسه فتؤذيه . فقلت : يا سيدى أما خفته ؟ فقال : والله يا بنى استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان قدامى كالقط .

الشيخ شمس الدين : يا سلطان ... أنت تارك للصلاة مع الجماعة

حضر السلطان بايزيد بن محمد أحد سلاطين العثمانيين إلى المحكمة الشرعية بين يدى الشيخ شمس الدين محمد بن حمزة الفنارى قاضى القسطنطينية ليشهد أمامه فى قضية من القضايا ، فما كان من الشيخ الغفارى إلا أن رد شهادة السلطان ولم يقبلها . وسأل السلطان الشيخ الفنارى عن أسباب رد شهادته فقال له الشيخ : إنك يا سلطان . . . أنت تارك للصلاة مع الجماعة . وابتسم السلطان ثم أمر ببناء مسجد أمام داره ، ولم يترك صلاة الجماعة بعد ذلك .

عبد الحميد الجزائرى : خير لكم ألا تتعرضوا للأمة فى دينها ولغتها

واستدعى المندوب السامى الفرنسى فى سورية الشيخ عبد الحميد الجزائرى وقال له : إما أن تُقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار وإلا أرسلت جنودًا لإغلاق المسجد الذى تنفث فيه هذه السموم ضدنا وإخماد أصواتك المفكرة . فأجاب الشيخ عبد الحميد : أيها المسيو الحاكم إنك لا تستطيع ذلك . واستشاط المسيو غضبًا وقال : كيف لا أستطيع ؟ قال الشيخ : إذا كنت فى عرس علمت المحتفلين، وإذا كنت فى مأتم وعظت المعزين ، وإن جلست فى قطار علمت

المسافرين ، وإن دخلت السجن أرشدت المسجونين وإن قتلتمونى ألهبت مشاعر المواطنين وخير لكم أيها المسيو ألا تتعرضوا للأمة فى دينها ولغتها [1] .

مَنْ يمد رجليه لا يمد يده :

لما قدم السلطان عبد العزيز مصر وزار الجامع الأزهر ومعه الخديوى إسماعيل فلاحظ الخديوى على شيخ بالجامع كأنه غير مهتم فهو مسند ظهره ماد رجله فأسرع بالسلطان عنه ، ثم كلف أحد رجاله ـ وقد أراه الشيخ ـ أن يذهب له بأموال ، يريد أن يعرف حاله ، فلما جاء الرسول ليعطيه قبض الشيخ عنه يده ، وقال له : قل لمن أرسلك : إن من يمد رجله لا يمد يده .

ابن حزم : إلى الله نشكو أهل الممالك من أهل ملتنا

اتخذ بعض الملوك اليهود وزراء وعمالاً سلطوهم على رقاب المسلمين فاستأسدوا وضاروا المسلمين ، وتجرأ زعيمهم ابن النغريلة على كتابة كتاب يتهجم فيه على كتاب الله القرآن الكريم ، ويزعم أنه متناقض فكتب ابن حزم كتابًا أسماه: الرد على بن النغريلة اليهودى وبدأه بالشكوى : « اللهم إنا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم وبعمارة قصور يتركونها عما قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم فى معادهم ودار قرارهم وبجمع أموال ربما كانت سببًا إلى انقراض أعمارهم وعونا لأعدائهم عليهم عن حياطة ملتهم التى بها غروا فى عاجلتهم ، وبها يرجون الفوز فى آجلتهم حتى استشرف لذلك أهل القبلة والذمة وانطلقت السنة أهل الكفر والشرك بما لو حقق النظر أرباب الدنيا لاهتمو بذلك ضِعف همِّنا لأنهم مشاركون لنا فيما يلزم الجميع من الامتعاض للديانة الزهراء والحمية للملة الغراء ثم هم بعد مترددون بما يؤول إليه إهمال هذه الحال من فساد سياستهم والقدح فى رياستهم ، فللأسباب أسباب وللمداخل إلى البلاء أبواب والله أعلم بالصواب » .

لقد كان فى المسلمين بقية خير ، فقد أثرت كتابات الأخيار فيهم وأثارت حميتهم قصائد الشعراء الذين بينوا مساوئ اليهود ومنها قصيدة أبى إسحاق

(١) صلاح الأمة جـ ٣ ، ص ٢٧٨ .

الألبيرى التى يقول فيها :

وإنى احتللت بغرناطة فكنت أراهم بها عابثين
وقد قسموها وأعمالها فمنهم بكل مكان لعين
وهم يقبضون جباياتها وأنتم لأوضاعها لابسون
وهم أُمناكم على سركم وكيف يكون أمينًا خؤن

وثار المسلمون وهبوا جميعًا فى ثورة عارمة أودت بحياة أربعمائة مجرم يهودى منهم ابن النغريلة هذا الذى بلغ مرتبة الوزارة .

ما أشبه الليلة بالبارحة ! ومصاب اليوم أعظم فأهل الممالك فى زماننا أقاموا لليهود دولة فى مسرى رسول الله ﷺ وباعوا الأرض المباركة بعرض حقير واعترف بعض هؤلاء بدوله أبناء الخنازير واستقبلوهم فى ديارهم . تُرى لو كان ابن حزم حيًا ماذا يقول ، وماذا يكتب ؟! وتراه لو كتب ، أتحرك أشجان المسلمين ؟! إلى الله نشكوا ولا حول ولا قوة إلا الله العظيم [1] .

(١) نقلا عن صلاح الأمة جـ ٣ ، ص ٢٨٧ .

شهداء العلماء

قال رسول الله ﷺ : « سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله » .

الحاكم

شهداء العلماء

عن عبادة بن الصامت قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول أو نقوم بالحق حيث كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم . وثمة بيعة أخرى [١] .

وقال رسول الله ﷺ : « **سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه ، فقتله** » [٢] .

حين يدلهم الخطب ويحل الأمر ويظهر الفساد ويشيع الظلم فى كثير من البلدان التى نحّت الحكم بما أنزل الله حينئذ يخشى الناس على أنفسهم وأولادهم وذويهم فيضطرون إلى الإنزواء بعيدًا عن معترك الأحداث بل ويخضعون لهذا الواقع المظلم ويستسلمون له بعد أن ألجمت ألسنتهم تلك الأوضاع ، فنجدهم قد رضوا أن يتجرعوا مرارة الصبر ، وربما شربوا كؤوس الذل والمهانة ولكن الظالم ينسى حين بغيه وجبروته تدبير الخالق العزيز الجبار ، وأنه له بالمرصاد ، فيتمادى فى بغيه ويزيد فى طغيانه ، ولكن يأبى الله إلا أن ينصر دينه ويتم نوره ويدحض الباطل ويعلى الحق فيقيض لهذه الشعوب الذليلة المنكسرة من يخرجها من خنوعها وذلتها ، ويبعث فيها روح العزة والكرامة وذلك حين يضحى العلماء والدعاة بأنفسهم حين يقعون تحت سياط الجلادين وسيوف الجبارين ، وأعواد المشانق ؛ لأنهم لا يخافون فى الله لومة لائم ليقولوا للناس : إن الموت فى سبيل الله خير من الموت جبنًا وذلاً . ويقيض الله كذلك لأولئك الظلمة الطغاة من يرهب قلوبهم، ويزلزل كراسيهم بالصدع بكلمة الحق ابتغاء مرضاة الله ، بعد أن يتخذوا كل الوسائل المتاحة والمشروعة لذلك ، وبعد أن يصر الظالم على ظلمة ، ويقف من شرع الله موقف المعارض ويقف من الدعاة إلى الله موقف المعادى المحارب . إن إحياء الأمة من مواتها وبعثها من غفوتها ونومها وإخراجها من عبادة غير الله ، وقيادتها إلى ربها وسوقها إليه سوقًا جميلاً وحمل هذا الدين والسعى به والجهاد فى سبيله ، إن هذا وغيره هو من سمات العلماء الفحول عبر تاريخنا المجيد [٣] .

---

(١) البخارى ومسلم . (٢) الحاكم .

(٣) العفانى ، صلاح الأمة جـ ٣ ، ص ١٩٣، ١٩٤ .

ونستعرض هنا صورًا من مواقف أولئك العلماء، لعلها تكون إحياء للغافلين، ورهبة للظالمين ؛ إذ ضحوا بأرواحهم فى سبيل إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى وقد يطول بنا المقام منذ السلف الصالح إلى العصر الحالى مستعرضين فيه مواقف للعلماء الربانيين الذين صدعوا بالحق فكان جزاءهم هو الضرب أو التعذيب أمثال أحمد بن حنبل ،ومالك بن أنس ، وأولئك الذين فقدوا حياتهم وقتلوا لا لشىء إلا أنهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وغيرهم من علماء الأمة الأبرار الذين لم يتوقف دورهم عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والانزواء بين عامة الناس إنما دفعهم إيمانهم بالله إلى الخروج والجهاد فى سبيل الله فمنهم من نال الشهادة وقضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، وإثباتًا لخيرية الأمة الإسلامية وأن الخير باقى فى أمة الإسلام إلى قيام الساعة استعرضنا بعض علماء الأمة فى العصر الحديث والمعاصر ممن ثبتوا على الحق وجاهدوا فى الله حق جهاده حتى أتاهم اليقين .

فإلى أولئك الذين يسقطون ظلمًا وعدوانًا فى الدفاع عن الإسلام ودعوته ليعلموا أنه قد سبقهم أقوام على الطريق نفسه : ﴿ **سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب:٦٢] ، ﴿ **وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** ﴾ [فاطر:٤٣] .

سعيد بن المسيب : فاصنع ما بدا لك فسوف يأتيك ما تكره

قال عبد الله بن جعفر : استعمل ابن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهرى على المدينة ، فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير ، فقال سعيد بن المسيب : لا ، حتى يجتمع الناس . فضربه ستين سوطًا ، فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب إلى جابر يلومه ويقول : ما لنا ولسعيد ، دعه .

ولما ضرب سعيد بن المسيب صاح بجابر بن الأسود ـ وكان قد تزوج الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة : والله ما ربَّعت على كتاب الله وإنك قد تزوجت الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة ، وما هى إلا ليال فاصنع ما بدا لك فسوف يأتيك ما تكره . فما مكث إلا يسيرًا حتى قتل ابن الزبير .

والله لا يقتدى بى أحد من الناس :

عقد عبد الملك بن مروان لأبنيه الوليد وسليمان بالعهد وكتب البيعة لهما إلى البلدة وعامله يومئذ على المدينة هشام بن إسماعيل المخزومى ، فدعا الناس إلى البيعة ، فبايعوا وأبى سعيد بن المسيب أن يبايع لهما وقال :لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار . فقيل : ادخل واخرج من الباب الآخر . قال : والله لا يقتدى بى أحد من الناس ، فضربه هشام ستين سوطًا وطاف به فى بيتان من شعر وسجنوه ، فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع ويقول : سعيد ! كان والله أحوج أن تصل رحمه من أن تضربه .

لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة :

وكان سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ يقول : لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم لكيلا تحبط أعمالكم [١] .

مالك بن أنس يضرب بالسياط :

قال الواقدى : لما وعى مالك وشوور وسمع منه وقُبل قوله حُسد ، وبغوه بكل شىء ، فلما ولى جعفر بن سليمان المدينة سعوا به إليه وكثروا عليه عنده ، وقالوا : لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشىء وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت بن الأحنف فى طلاق المكره : أنه لا يجوز عنده . قال : فغضب جعفر ، فدعا بمالك ، فاحتج عليه بما رُفع إليه عنه فأمر بتجريده وضربه بالسياط وجبذت يده حتى انخلعت من كتفه وارتكب منه أمر عظيم فوالله ما زال مالك بعده فى رفعه وعلو [٢] .

عفان بن مسلم : « وفى السماء رزقكم وما توعدون »

قال إبراهيم بن ديزيل : لما وعى عفان للمحنة والقول بأن القرآن مخلوق ، كنت آخذًا بلجام حماره ، فلما حضر عُرض عليه القول بخلق القرآن الكريم ، فامتنع أن يجيب ، فقيل له : يُحبس عطاؤك ـ مرتب شهرى كانت الخلافة تصرفه

(١) سير أعلام النبلاء جـ ٤ ، ص ٢٣٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء جـ ٨ ، ص ٨٠ ، ٨١ .

للناس ـ قال : وكان يُعطى كل شهر ألف درهم . فقال : ﴿ **وفى السماء رزقكم وما توعدون** ﴾ فلما رجع إلى داره عذله نساؤه ومَنْ فى داره ، قال : وكان فى داره نحو أربعين إنسانًا ، فدق عليه داق الباب ، فدخل عليه رجل شبهته بسمان أو زيات ، ومعه كيس فيه ألف درهم ، فقال : يا أبا عثمان ثبتك الله كما تثبت الدين ، وهذا فى كل شهر .

عبد الله بن مرزوق : لو كنت تملك حياة أو موتًا ! !

لما قدم المهدى مكة لبث بها ما شاء ، فلما أخذ فى الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق ، فلببه بردائه ، ثم هزه وقال : انظر ما تصنع ؟! مَن جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البُعْد ، حتى إذا صار عنده خلْت بينه وبينه ؟! وقد قال الله تعالى : ﴿ **سواءً العاكف فيه والباد** ﴾ من جعل لك هذا ؟ فنظر فى وجهه ـ وكان يعرفه لأنه ابن مواليهم ـ فقال : أعبد الله بن مرزوق ؟ قال: نعم . فأخذ فجىء به إلى بغداد . فكره أن يعاقبه عقوبة يشنع عليه بها العامة، فجعله فى اصطبل الدواب . يتسُوس الدواب ، وضموا إليه فرسًا عضوضًا وسيئ الخلق ليعقره الفرس ، فلين الله له الفرس . قال : ثم صيروه إلى بيت وأُغلق عليه وأخذ المهدى المفتاح عنده، فإذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل ، فعلم بذلك المهدى ، فقال له : منْ أخرجك ؟ قال : الذى حبسنى . فضج المهدى وصاح وقال : ما تخاف أن أقتلك ؟ فرفع عبد الله إليه رأسه يضحك وهو يقول : لو كنت تملك حياة أو موتًا !! فما زال محبوسًا حتى مات المهدى ثم خلو عنه ، فرجع إلى مكة .

أبو الحسن بنان الحمال : كنت اتفكر فى سؤر السباع ولعابها

قال أبو عبد الرحمن السلمى : قام بنان الحمال إلى وزير خمارويه صاحب مصر ـ وكان نصرانيًا ـ فأنزله عن مركوبه ، وقال : لا تركب الخيل ، وغيِّره كما هو مأخوذ عليكم فى الذمة . فأمر خمارويه بأن يؤخذ ويوضع بين يدى سبع ، فطُرح فبقى ليلة ثم جاؤوا والسبع يلحسه وهو مستقبل القبلة فأطلقه خمارويه واعتذر إليه .

قال أبو علي الروذباري : كان سبب دخولي مصر حكاية بنان الحمال ، وذلك أنه أمر ابن طولون بالمعروف ، فأمر بأن يلقى بين يدى سبع ، فجعل السبع يشمه ولا يضره ، فلما أخرج من بين يدي السبع قيل له : ما الذى كان فى قلبك حين شمك ؟ قال : كنت أتفكر فى سؤر السباع ولعابها (١) .

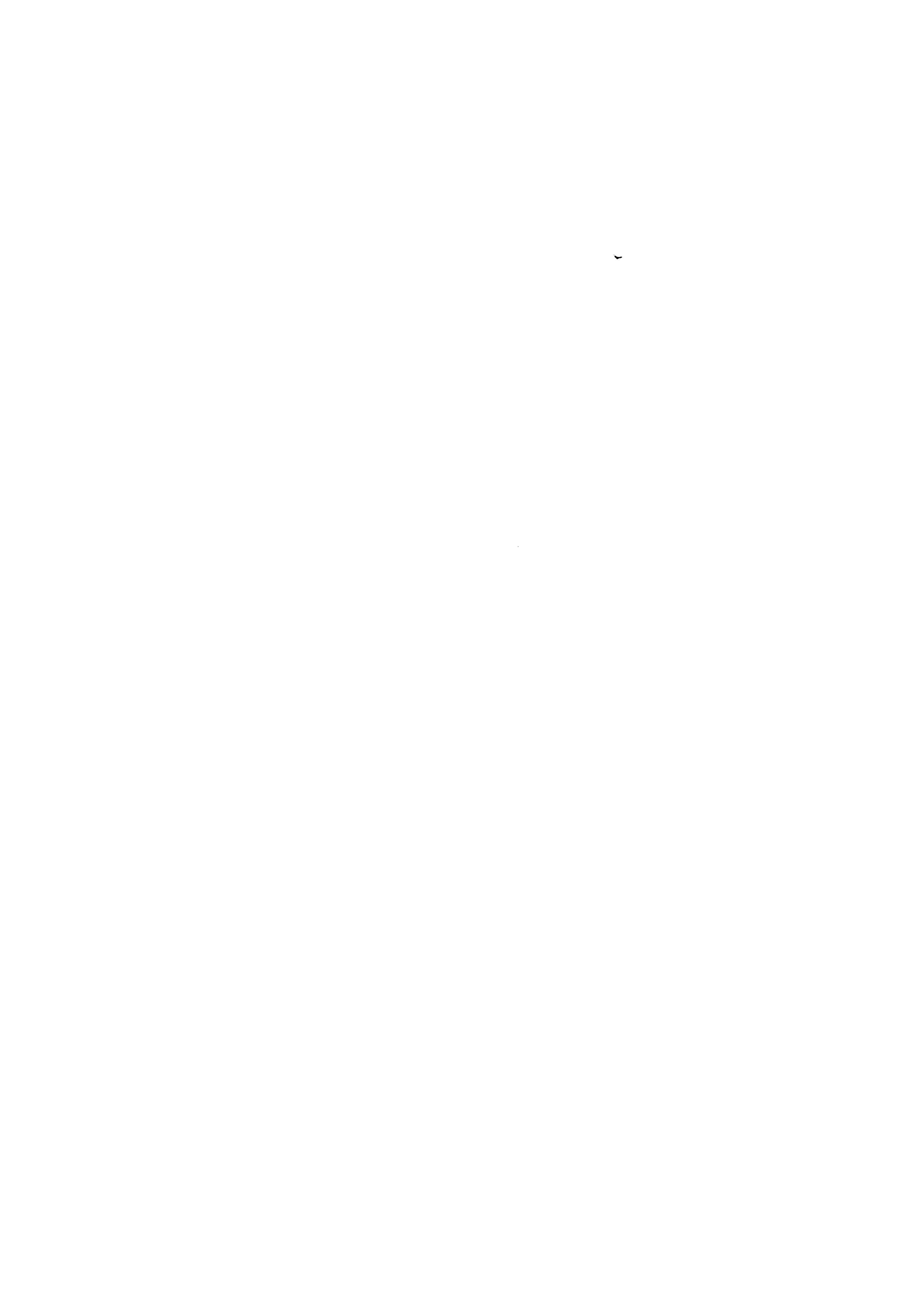
شيخ الإسلام الهروى الأنصاري : عُرضت على السيف خمس مرات

قال ابن طاهر : سمعت الهروى الأنصاري يقول : عُرضت على السيف خمس مرات لا يقال لى ارجع عن مذهبك . لكن يقال لي : اسكت عمن خالفك . فأقول : لا أسكت .

سبحانك ! هذا بهتان عظيم :

لما قدم السلطان ألب أرسلان فى بعض قدماته ، اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه ودخلوا على أبى إسماعيل وسلموا عليه ، وقالوا : ورد السلطان ونحن على عزم أن نخرج ونسلم عليه ، فأحببنا أن نسلم عليك ، وكانوا قد تواطئوا على أن جملوا معهم صنمًا صغيرًا من نحاس وجعلوه فى المحراب تحت سجادة الشيخ الأنصاري وخرجوا وقام الشيخ إلى خلوته ، ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الأنصاري وأنه مُجسِّمٌ وأنه يترك فى محرابه صنمًا يزعم أن الله تعالى على صورته وإنْ بعث السلطان الآن يجده فعظم ذلك على السلطان وبعث غلامًا وجماعة فدخلوا وقصدوا المحراب فأخذوا الصنم ، فألقى الغلام الصنم بين يدى السلطان فبعث السلطان من أحضر الأنصارى ، فأتى فرأى الصنم والعلماء وقد اشتد غضب السلطان ، فقال له السلطان : ما هذا ؟ قال : صنم يعمل من الصُّفر شبه اللعبة . قال السلطان : لست عن ذا أسألك . قال : فعمَّ يسألنى السلطان ؟ قال : إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا ،وأنك تقول : أن الله على صورته . فقال شيخ الإسلام بصولة وصوت جهورى : سبحانك ! هذا بهتان عظيم . فوقع فى قلب السلطان أنهم كذبوا عليه . فأمر به فأخرج إلى دراه مكرمًا ، وقال لهم : اصدقونى . وهددهم . فقالوا : نحن فى يد هذا فى بلية من استيلائه علينا

(١) سير أعلام النبلاء جـ ١٤ ، ص ٤٨٩ .



ضحك فقال له : ما أضحكك ؟ فقال : أضحك من غيراتك على وحلم الله عنك » .

يا عدو الله فيم قتلتني ؟!

قال ابن كثير : لم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يومًا ، وكان إذا نام رآه فى المنام يأخذ بمجامع ثوبه ويقول : يا عدو الله فيم قتلتني ؟ فيقول الحجاج : مالي ولسعيد بن جبير ، مالي ولسعيد بن جبير .

ولما أراد سليمان بن عبد الملك أن يستكتب كاتب الحجاج يزيد بن أسلم قال له عمر بن عبد العزيز : أسألك بالله يا أمير المؤمنين أن لا تحيى ذكرى الحجاج باستكتابك إياه . فقال : يا أبا حفص ، إني لم أجد عنده خيانة درهم ولا دينار . قال عمر : أنا أوجدك من هو أعف منه في الدينار والدرهم . قال : ومن هو ؟ قال : إبليس ، ما مس ديناراً ولا درهمًا وقد أهلك هذا الخلق .

حطيط الزيات : إنك من أعداء الله في الأرض :

لما جيء بحطيط الزيات إلى الحجاج بن يوسف الثقفي فلما دخل عليه قال : أنت حطيط ؟ قال : نعم ، سل عما بدا لك ، فإني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال : إن سئلت لأصدقن ، وإن ابتليت لأصبرن وإن عوفيت لأشكرن . قال : فما تقول فيّ ؟ قال : أقول : إنك من أعداء الله في الأرض ، تنتهك المحارم وتقتل بالظنة . قال : فما تقول في أمير المؤمنين ! عبد الملك بن مروان ؟ قال : أقول : إنه أعظم جرمًا منك وأنت خطيئة من خطاياه . فقال الحجاج : ضعوا عليه من العذاب . قال : فانتهى به العذاب ، حتى انتحلوا لحمه . فما سمعوه يقول شيئًا ثم مات . رحمه الله وكان ابن ثمان عشرة سنة [1] .

الإمام البويطي : ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم :

هو العلامة سيد الفقهاء ، يوسف أبو يعقوب بن يحيى المصري البويطي .

---

(١) صلاح الأمة جـ ٣ ، ص ١٧٢ .

صاحب الشافعي ولازمه مدة وفاق الأقران ، وكان إمامًا في العلم قدوة في العمل ، زاهدًا ربانيًا متهجدًا ، دائم الذكر . . . سعى به أصحابه أحمد بن أبي دؤاد ، حتى كتب فيه ابن أبي دؤاد والي مصر ، فامتحنه في محنة خلق القرآن فلم يجب وكان الوالي حسن الرأي فيه ، فقال له : قل فيما بيني وبينك . قال : إنه يقتدي بي مائة ألف ولا يدرون المعنى ؟! فأمر به أن يحمل إلى بغداد .

قال الربيع بن سليمان : رأيته على بغل في عنقه غل وفي رجليه قيد وبينه وبين الغل سلسلة فيها لبنة ـ طوبة ـ وزنها أربعون رطلاً وهو يقول : إنما خلق الله الخلق بـ « كن » فإذا كانت مخلوقة فكأن مخلوقًا خُلق بمخلوق ولئن دخلت عليه لأصدقنه ـ يعني الواثق ـ ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم .

وتوفي ـ رحمه الله ـ في قيده مسجونًا بالعراق سنة إحدى وثلاثين ومائتين من الهجرة[1] .

الإمام نعيم بن حماد : إني مخاصم

هو العلامة صاحب التصانيف ، كان شديدًا في الرد على الجهمية حُمل إلى العراق أيام تلك الأيام المظلمة أيام محنة خلق القرآن مع البويطي مقيدين .

وكان يقول : من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر ، وليس في ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه .

قال ابن يونس : حمل على القول بتلك الفرية فامتنع أن يجيب فسجن ، ومات في سجنه سنة تسع وعشرين ومائتين وجُر بأقياده فألقى في حفرة ولم يكفن ولم يصلَّ عليه وأوصى بأن يدفن في قيوده وقال : إني مخاصم .

الإمام أحمد بن نصر الخزاعي : إني لأحتسب خطاي إلى هذا الكافر

هو أبو عبد الله أحمد بن نصر الخزاعي كان أمارًا بالمعروف قوالاً بالحق من أكابر العلماء العاملين ومن أهل العلم والديانة .

---

(١) سير أعلام النبلاء جـ ١٢ ، ص ٥٨ .

بخير ، قال لي ذات يوم : يا أحمد بن حنبل يا أبا عبد الله ، الله الله إنك لست مثلي ، أنت رجل يقتدى بك ، قد مدّ الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك ، فاتق الله وأثبت لأمر الله - أو نحو هذا ، فمات وصليت عليه ودفنته [١] .

عطاء الفقاعي : خذوا بالأقل احتياطًا ؟!

قال عبد الخالق بن زياد : أمر بعض الأمراء أن يُضرب عطاء الفقاعي مائة سوط ، فبطح على وجهه ، فكان يضرب إلى أن ضُرب ستين ، فشكوا كم ضُرب خمسين أو ستين ؟ فقال عطاء : خذوا بالأقل احتياطًا !! وحبس مع نساء ، وكان في الموضع أترسة ، فقام بجهد من الضرب ، وأقام الأترسة بينه وبينهن وقال : نهى رسول الله ﷺ عن الخلوة بالأجنبية ! [٢]

وممن قتلهم الحجاج بن يوسف الثقفي

عبد الله بن صفوان : قتل وهو متعلق بأستار الكعبة : إنما قاتلت عن ديني

عبد الله بن صفوان بن أمية ، أدرك حياة النبي ﷺ وروى عن عمر وجماعة من الصحابة وحدث عنه خلق كثير من التابعين ، وكان سيدًا شريفًا مطاعًا حليمًا يحتمل الأذى ، ولم يقصده أحد في شيء فرده خائبًا ، وكان من جملة من صبر مع عبد الله بن الزبير حين حصره الحجاج بمكة فقال له ابن الزبير : إني قد أحللتك من بيعتي فاذهب حيث شئت ، فقال : إني إنما قاتلت عن ديني ، ثم صبر نفسه حتى قتل وهو متعلق بأستار الكعبة [٣] .

عبد الله بن مطيع : والشيخ لا يفر إلا مرة

ولد في حياة رسول الله ﷺ وحنكه ودعا له بالبركة ، وروى عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لا يُقتل قرشي بعد اليوم صبرًا إلى يوم القيامة** » .

قال الزبير بن بكار : كان ابن مطيع من كبار رجال قريش جلدًا وشجاعة

(١) السير ، جـ ١١ ، ص ٢٤٢ .
(٢) السير ، جـ ٢٠ ، ص ٥٦ .
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٨ ، ص ٣٢٨ .

وأخبرنى عمى مصعب أنه كان على قريش أميراً يوم الحرة ثم قتل مع ابن الزبير بمكة وهو الذى يقول : أنا الذى فررت يوم الحرة ، والشيخ لا يفر إلا مـرة ، لا جبرت فرة بكـرة [1]

كميل بن زياد :

ابن نهيك . روى عن عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وأبى هريرة وشهد صفين مع على بن أبى طالب وكان شجاعاً فاتكاً وزاهداً عابداً ، قتله الحجاج بن يوسف الثقفى .

عمران بن عصام الضبعى : ما كفرت بالله منذ آمنت به :

كان من علماء البصرة ، وكان صالحاً عابداً ، أتى به أسيراً إلى الحجاج فقال له : أشهد على نفسك بالكفر حتى أطلقك فقال : والله إنى ما كفرت بالله منذ آمنت به ، فأمر به فضربت عنقه .

عبد الرحمن بن أبى ليلى :

روى عن جماعة من الصحابة ، ولأبيه أبى ليلى صحبة ، أخذ عبد الرحمن القرآن عن على بن أبى طالب ، خرج مع ابن الأشعث فأتى به الحجاج فضرب عنقه بين يديه صبراً [2] .

أيوب ابن القرية :

وكان فصيحًا بليغًا قتله صبرًا بين يديه . [3]

وممن قتل : عبد الله بن الحارث بن نوفل ، وسعد بن إياس الشيبانى ، وأبو نعيم الخولانى ، وعبد الله بن قتادة ، وعبد الله بن شداد [4] .

خبيب بن عبد الله بن الزبير :

ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد بن عبد الملك مائة سوط ثم عزل عمر

(١) البداية والنهاية جـ ٨ ، ص ٣٢٩ .
(٢) البداية والنهاية جـ ٩ ، ص ٥٦ .
(٣) البداية والنهاية جـ ٩ ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

وقال أحمد : لست أبالي بالحبس ، ما هو ومنزلي إلا واحد ، ولا قتلاً بالسيف ، إنما أخاف فتنة السوط ، وأخاف أن لا أصبر ، فسمعه بعض أهل الحبس وهو يقول ذلك ، فقال : لا عليك يا أبا عبد الله ، فما هو إلا سوطان ، ثم لا تدرى أين يقع الباقى ، فكأنه سرى عنه .

قال أحمد : أدخلت على إسحاق في قيودى ، فقال : يا أحمد إنها والله نفسك ، إنه لا يقتلك بالسيف ، إنه قد آلى إن لم تجبه ، إن يضربك ضربًا بعد ضرب ، وأن يقتلك فى موضع لا يرى فيه شمس ولا قمر . . . فأخرجت وجىء بدابة فأركبت وعلىَّ الأقياد ، ما معى من يمسكنى فكدت غير مرة أن أخر على وجهى لثقل القيود ، فجىء بى إلى دار المعتصم فأدخلت حجرة ثم أدخلت بيتًا وأقفل الباب علىّ فى جوف الليل ولا سراج فأردت الوضوء فمددت يدى فإذا أنا بإناء فيه ماء وطست موضوع ، فتوضأت وصليت[1] .

قال المروزى : لما سجن أحمد بن حنبل ، جاء السجان فقال له : يا أبا عبد الله الحديث الذى روى فى الظلمة وأعوانهم صحيح ؟ قال : نعم ، قال السجان : فأنا من أعوان الظلمة ؟ قال أحمد : فأعوان الظلمة مَنْ يأخذ من شَعْرَك ويغسل ثوبك ، ويصلح طعامك ويبيع ويشترى منك ، فأما أنت فمن أنفسهم . لما أحضر أحمد بن حنبل إلى المعتصم ، فلما كان من الغد أخرجوه إلى الخليفة ليناظره أحمد بن دؤاد ، والمعتصم يقول : لأن أجابنى لأطلقن عنه بيدى ولأركبن إليه بجندى ، ولأطأن عقبه . ثم قال : يا أحمد والله إنى عليك لشفيق ، وإنى لأشفق عليك كشفقتى على ابنى هارون ، ما تقول ؟ فيقول أحمد : أعطونى شيئًا من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله . ومرة أخرى يقول المعتصم لأحد : ما كنت تعرف صالحًا الرشيدى ؟ قال أحمد : قد سمعت باسمه . قال : كان مؤدبى ، وكان فى ذلك الموضع جالسًا . وأشار إلى ناحية الدار - فسألته عن القرآن ، فخالفنى فأمرت به فوطئ وسحب . وبعد ثلاثة أيام من المناظرة والإمام أحمد يفحم المبتدعة ، قال المعتصم : العقابين والسياط فجىء بهم . . . فقال للجلادين :

(١) السير ، جـ ١١ ، ص ٢٤٤ .

تقدموا فجعل الجلاد يتقدم ويضربنى سوطين ويتنحى ، وهو فى خلال ذلك يقول : شدّ ، قطع الله يدك ، قال أحمد بن حنبل : فذهب عقلى فأفقت بعد ذلك فإذا الأقياد قد أطلقت عنى ، فقال لى رجل ممن حضر : إننا كببناك على وجهك وطرحنا على ظهرك باريّة ودسناك ، قال أحمد بن حنبل : ما شعرت بذلك آتونى بسويق فقالوا لى : أسرب وتقيأ - وكان يصوم نهار رمضان - فقلت : لا أفطر ، ثم جئ بى إلى دار إسحاق بن إبراهيم ، فحضرت صلاة الظهر ، فتقدم ابن سماعة فصلى ، فلما انفتل من الصلاة قال لى : صليت والدم يسيل فى ثوبك ؟! فقلت : قد صلى عمر وجرحه يثعب دمًا ، ثم خلى عنه فصار إلى منزله [1].

قال بعض الجلادين الذين ضربوا أحمد بن حنبل : والله لقد ضربته ضربًا لو أُبرك لى بعير فضربته ذلك الضرب لنقبتُ عن جوفه .

وقال آخر : لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطًا لو ضربته فيلاً لهدَّته [2] .

قال صالح بن أحمد بن حنبل : قال أبى : ولما جئ بالسياط ، نظر إليها المعتصم فقال ائتونى بغيرها ، ثم قال للجلادين : تقدموا ، فجعل يتقدم إلى الرجل ويتقدم آخر ، فيضربنى سوطين وهو يقول فى كل ذلك : شدّ ، قطع الله يدك ! ثم يتنحى ويتقدم آخر فيضربنى سوطين ، فلما ضربت سبعة عشر سوطًا ، قام إلى المعتصم فقال : يا أحمد علام تقتل نفسك ؟ إنى والله عليك لشفيق وجعل عجيف بن عنبسه ينخسنى بقائمة سيفه ، قال : أتريد أن تغلب كل هؤلاء؟ وجعل بعضهم يقول : ويلك ! إمامك - المعتصم - على رأسك قائم ، وقال بعضهم : يا أمير المؤمنين دمه فى عنقى ، اقتله ، وجعلوا يقولون : يا أمير المؤمنين أنت صائم وأنت فى الشمس قائم ! فقال لى : ويحك يا أحمد ما تقول؟ فأقول : أعطونى شيئًا من كتاب الله أو سنة رسوله أقول به ، فرجع وجلس وقال للجلاد : تقدم ، وأوجع ، قطع الله يدك ، ثم قام الثانية وجعل يقول : ويحك يا أحمد أجبنى . فجعلوا يقبلون على ويقولون : يا أحمد إمامك

(١) السير ، جـ ١١ ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٧



تتدكدك منها وانكسر المشركون ، وجدّ المسلمون فى القتال ففتح الحصن عنوة
وقتلوا وأسروا ، ولما صعد ابن الجزرى إلى الرشيد أجلسه وأمر بصب الأموال
عليه حتى عجز عن النهوض ، وأفرغت عليه الخلع حتى لم يطق حملها وصار
يسأل الإعفاء(1).

شقيق البلخى

قال حاتم الأصم : كنا مع شقيق البلخى ونحن مصافو الترك فى يوم لا أرى
فيه إلا رؤوسًا تسقط وسيوفًا تقطع ورماحًا تقصف فقال لى شقيق ونحن بين
الصفين : كيف ترى نفسك يا حاتم ؟ تراه مثله فى الليلة التى زُفَّت إليك
امرأتك ؟! قلت : لا والله ! قال : لكنى والله أرى نفسى فى هذا اليوم مثله فى
الليلة التى زفت فيها امرأتى . قال : ثم نام بين الصفين ودرقته تحت رأسه ، حتى
سمعت غطيطه . قال حاتم : ورأيت رجلاً من أصحابنا فى ذلك اليوم يبكى ،
فقلت : ما لك ؟ قال : قُتل أخى . قلت : حظ أخيك صار إلى الله وإلى رضوانه .
فقال لى : اسكت ما أبكى أسفًا عليه ولا على قتله ولكنى أبكى أسفًا أن أكون
رأيت كيف كان صبره لله عند وقوع السيف به . قال حاتم : فأخذنى فى ذلك
اليوم تُركى فأضجعنى للذبح فلم يكن قلبى به مشغولاً كان قلبى بالله مشغولاً
انظر ماذا يأذن الله له فىّ فبينا هو يطلب السكين من خفه إذ جاءه سهم غابر
فذبحه فألقاه عنى(2) .

السُّرمارى : اعلم يقينًا أنى قتلت ألف تركى وإن عشت قتلت به ألفًا أخرى

السرمارى هو شيخ البخارى

قال إبراهيم بن شماس : كنت أكاتب أحمد بن إسحاق السرمارى فكتب
إلىّ : إذا أردت الخروج إلى بلاد الغزيّة ، فى شراء الأسرى فاكتب إلىّ ، فكتبت
إليه ، وقدم سمرقند فخرجنا ، فلما علم جعبويه استقبلنا فى عدة من جيوشه ،
فأقمنا عنده فعرض يوما جيشه فمر رجل فعظمه وخلع عليه فسألنا عنه السرمارى

(١) صلاح الأمة ، جـ ٣ ، ص ٤٨٤ .
(٢) حلية الأولياء جـ ٨ ، ص ٦٤ .

فقلت : هذا رجل مبارز يُعدُ بألف فارس ، قال : أنا أبارزه . فسكتُ . فقال جعبويه : ما يقول هذا ؟ قلت : يقول كذا وكذا . قال : لعله سكران لا يشعر، ولكن غدًا تركب . فلما كان الغد ركبوا ، فركب السرمارى معه عمود فى كمه ، فقام بإزاء المبارزة فقصده فهرب أحمد حتى باعده من الجيش ، ثم كر وضربه بالعمود فقتله ، وتبع إبراهيم بن شماس لأنه كان سبقه فلحقه ، وعلم جعبويه فجهز فى طلبه خمسين فارسًا نقاوة فأدركوه فثبت تحت تل مختفيًا حتى مروا كلهم واحدًا بعد واحد ، وجعل يضرب بعموده من ورائهم إلى أن قتل تسعة وأربعين ، وأمسك واحدًا قطع أنفه وأذنيه وأطلقه ليخبر ثم بعد عامين توفى أحمد ، وذهب ابن شماس فى الفداء ، فقال له جعبويه : من ذاك الذى قتل فرساننا ؟ قال : ذاك أحمد السرمارى ، قال : فلِم لم تحمله معك ؟ قلت: توفى . فصك فى وجهى، وقال : لو أعلمتنى أنه هو ، لكنت أعطيه خمسمائة برذون وعشرة آلاف شاة .

قال محمد المطوعى : كان عمود المطوعى السرمارى وزنه ثمانية عشر منًا فلما شاخ جعله اثنى عشر منا ، وكان يقاتل به ، قال عبيد الله بن واصل : سمعت أحمد السرمارى يقول وأخرج سيفه فقال : اعلم يقينًا أنى قتلت به ألف تركى وإن عشت قتلت به ألفًا أخرى، ولولا خوفى أن يكون بدعة لأمرت أن يدفن معى[1].
قال محمود بن سهل الكاتب : كانوا فى بعض الحروب يحاصرون مكانًا ورئيس العدو قاعد فى خيمته ، فرمى السرمارى سهمًا فغرزه فى الخيمة ، فأومأ الرئيس لينزعه ، فرماه بسهم آخر خاطٍ ، فتطاول الكافر لينزعه من يده فرماه بسهم ثالث فى نحره فانهزم العدو وكان الفتح .

عبد الوهاب بن بخت : ويحكم ! افرار من الجنة ؟!

لقى العدو ففر بعض المسلمين فجعل ينادى ويركض فرسه نحو العدو أن : هلموا إلى الجنة ، ويحكم ! أفرار من الجنة ؟! أتفرون من الجنة ؟! إلى أين ويحكم ؟ لا مقام لكم فى الدنيا ولا بقاء !! ثم قاتل حتى قتل [2] .

(١) سير أعلام النبلاء جـ ٣ ، ص ٣٩ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٣١٦ .

الشيخ سعيد ملا الكردى : سوف نصفى حسابنا يوم الحساب الأخير

أسس فى عام ١٩١٩ م حزبًا أطلق عليه « حزب انبعاث وحدة الإسلام » ليقف أمام محاولات التغريب ، وشتت أتاتورك أعضاءه وحين أعلن أتاتورك إلغاء الخلافة سنة ١٩٢٤ م ثار ضده الشيخ سعيد ملا سنة ١٩٢٥م واندفعت معه الجماهير المسلمة تحت راياته الخضراء التى كتب عليها : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وكون الشيخ جيشًا من الأكراد ، وتمكن من السيطرة على مناطق شاسعة حتى وصل إلى ديار بكر فحاصرها وكاد يسيطر عليها ، لولا أن أتاتورك سارع فقذف بكل ما لديه من قوات زاد تعدادها عن ثمانية فرق عسكرية كاملة التجهيز ، واستعملت فى تقدمها أبشع أساليب البطش والتنكيل واضطر الشيخ سعيد ملا أمام هذه القوة الغاشمة إلى التراجع إلى الجبال الوعرة ليبدأ هناك حرب عصابات ضد قوات أتاتورك ، فأحكم أتاتورك الحصار حول الشيخ ، ومنع وصول أية إمدادات أو مؤن إليه ،

وفى ميدان ديار بكر الرئيس ، انعقدت محكمة الطغاة لمحاكمة الشيخ سعيد ملا وإخوانه ، فحكمت بإعدامه مع عدد كبير من إخوانه ، وأمر أتاتورك بأن تبقى أجسادهم الطاهرة معلقة على أبواب مسجد ديار بكر الكبير .

وكان الشيخ سعيد ملا قد أظهر أثناء المحاكمة رباطة الجأش لا يقدر عليها إلا بطل الأبطال ، ولقد ظل ـ رحمه الله ـ محتفظًا برباطة جأشه حتى آخر لحظة فى حياته ، وتوجه إلى رئيس المحكمة العسكرية التى حكمت بإعدامه قائلاً : سوف نُصفى حسابنا يوم الحساب الأخير ، ثم توجه إلى قائد الحملة العسكرية التى هزمته قائلاً : يا أمير اللواء ، تعال ودِّع غريمك ، ثم تقدم من منصة الإعدام، وأمسك حبل المشنقة بيديه وساعد الجلاد فى وضعه عنقه ، وأجمعت المراجع التركية ، التى وصفت تنفيذ حكم الإعدام بالشيخ الملا ، أن صوته شق عنان السماء مرددًا بشموخ : لا إله إلا الله محمد رسول الله وتدلى الجسد الطاهر على أبواب مسجد ديار بكر شاهد صدقٍ على أن جماهير الشعب التركى المسلم قدمت القوافل المتوالية من الشهداء ، دفاعًا عن دينها ووفاء لعهدها مع

الله (١) .

الشيخ بديع الزمان : الشريعة فى خطر نريد حكم الشريعة

كوّن ـ رحمه الله ـ سنة ١٩٠٨م جمعية إسلامية تسمى « الاتحاد المحمدى » وانتشرت فروعها فى جميع أنحاء تركيا ، وأصبحت فى فترة وجيزة شوكة فى حلق زعماء الاتحاد والترقى ، الماسونيين ، الذين أدركوا أن هذه الجمعية ستكون السد المنيع الذى ستنكسر عليه كل سهام تآمرهم ومكائدهم ضد الإسلام فى تركيا . واندفعت جماهير الشعب التركى المسلم فى إسلام بول فى يوم ٣١ مارس سنة ١٩٠٨م يتقدمها العلماء وطلاب الشريعة وأعداد غفيرة من العسكريين ، تعلن غضبها ضد تسلط جمعية الاتحاد والترقى وترتفع هتافاتها تشق عنان السماء : الشريعة فى خطر ، نريد حكم الشريعة .

إننى لا أخشى حكمكم بإعدامى فقد هيأت نفسي بشوق عظيم للذهاب للآخرة

وتسلل جيش الخلاص نحو إسلام بول وحين دخل جيش الخلاص إسلام بول، خرجت شراذم عصابات الاتحاد والترقى من جحورها لتنضم إلى جيش الخلاص وتمكن أعداء الله من قمع المقاومة الإسلامية بكل عنف وقسوة ، وعزلوا السلطان عبد الحميد الثانى ، وصبوا حام غضبهم ضد الشيخ النورسى وإخوانه وكان أول حصاد محكمة خورشيد باشا الماسونى الحكم بإعدام خمسين مجاهدًا وما هى إلا دقائق إلا وكانت أجسادهم الطاهرة تتدلى من فوق أعواد المشانق وجىء بالشيخ المجاهد سعيد النورسى ليمثل أمام خورشيد باشا ، فسأله خورشيد ـ وهو ينظر إلى الأجساد التى تتأرجح فى الهواء : وهل أنت أيضًا تدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية يا شيخ سعيد ؟ فأجابه وهو ينظر إلى أجساد إخوانه الذين أكرمهم الله بالشهادة : اعلم يا خورشيد أنه لو كان لى ألف روح لما ترددت أن أجعلها كلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام ، واسمع منى جيدًا يا خورشيد ، أننى لا أخشى حكمكم بإعدامى ، فقد هيأت نفسى بشوق عظيم

(١) مواقف بطولية من صنع الإسلام نقلا عن صلاح الدين جـ ٣، ص ٤٩٤ .

للذهاب إلى الآخرة ، لألحق بإخوانى الذين سبقونى إلى أعواد المشانق لينالوا الشهادة فى سبيل الله .

واكتفى الطغاة بسجنه ومضى ـ رحمه الله ـ فى قيادة مسيرة الحركة الإسلامية الممتحنة فى تلك الأيام العصيبة .

إنكم مبعوثون ليوم عظيم :

أرسل إلى أعضاء مجلس النواب فى تركيا وكانوا يُسمَّوْن « المبعوثون » : أيها المبعوثون . . إنكم مبعوثون ليوم عظيم . وكان من بركة هذا البيان أن أعلن ستون نائبًا ممن كانوا قد خُدِعوا بأتاتورك توبتهم واستقاموا على أداء الصلاة .

إن الذى لا يصلى خائن ، وحكم الخائن مرفوض :

وناظر النورسى أتاتورك أمام مجلس النواب ، وقال أتاتورك للشيخ غاضبًا : لقد دعوتك هنا لأستفيد من آرائك المهمة ولكنك بدلاً من ذلك لم تتحدث إلا عن الصلاة ، فجاءه جواب الشيخ النورسى حممًا تلفح وجه الزنديق : اعلم يا باشا أن أعظم حقيقه تتجلى بعد الإسلام إنما هى الصلاة ، وأن الذى لا يصلى خائن وحكم الخائن مرفوض [١] .

---

(١) صلاح الأمة جـ ٣ ، ص ٤٩٦ .

المحتوى

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة



مطابع وسط الدلتا

المنصورة ٢٢٢٣٨٦٧ / ٠٥٠